صوت الأمة

بنارس، الهند

محرم وصفر ١٤٤٨هـ

يوليو وأغسطس ٢٠٢٦م

طريق النجاح في موسم الاختبارات

محمد بن عبد الله القرشي صلى الله عليه وسلم خير معلم

شهر صفر

عقوق الوالدين

الحنين إلى الوطن في الشعر العربي: نظرة خاطفة

لا يجوز الغش في الاختبارات والمعاملات

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشّ فليس مني. رواه مسلم (١٠٢).

دار التأليف والترجمة، بنارس، الهند

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد: ٥٧	العدد: ٧-٨	محرم وصفر ١٤٤٨ هـ	يوليو وأغسطس ٢٠٢٦م

هيئة المجلة

المشرف العام
عبدالله سعود بن عبدالوحيد

رئيس التحرير
خورشيد عالم جميل أحمد المدني

مساعد التحرير
د. عبدالحليم بسم الله المدني

الهيئة الاستشارية
د. محمد إبراهيم محمد هارون المدني
د. محمد إسحاق محمد إبراهيم
الشيخ عبدالقدوس محمد نذير
صلاح الدين مقبول أحمد المدني
د. عبدالصبور أبو بكر المدني

عنوان المراسلة

صوت الأمة
بي ١ / ١٨ جي، ريوري تالاب، بنارس، الهند

The Editor, Sautul Ummah
B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi – 221010 (India)

ترسل شيكات الاشتراك بهذا الاسم:

دار التأليف والترجمة

Name: DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA
Bank: ALLAHABAD BANK
Kamachha, VARANASI
A/c No.: 21044906358
IFSC Code: ALLA0210547

الاشتراك السنوي

في الهند (٢٥٠) روبية، في الخارج (٧٥) دولار
بالبريد الجوي، ثمن النسخة (٢٥) روبية.

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
الافتتاحية: ١– طريق النجاح في موسم الاختبارات خورشيد عالم جميل أحمد المدني	٣
عقائد وإيمان: ٢– معتقد أهل السنة في الإيمان بالقضاء والقدر أ. د. إبراهيم بن عامر الرحيلي	٦
أخلاق وآداب: ٣– أخلاق النبي ﷺ د. عبد المحسن بن محمد القاسم	١٤
التعليم والتربية: ٤– محمد بن عبد الله القرشي ﷺ خير معلم فضيلة الشيخ لطف الحق المرشد آبادي	٢١
أيام واعتقادات: ٥– شهر صفر أحمد بن عباد الله خان	٣٤
أيام وخصائص: ٦– خصائص يوم الجمعة أ. د. سعد بن تركي الخثلان	٣٩
ذنوب وآثام: ٧– عقوق الوالدين أ.د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	٤٧
الشعر العربي: ٨– الحنين إلى الوطن في الشعر العربي: نظرة خاطفة د. محمود حافظ عبد الرب مرزا	٦٠
أعلام وسير: ٩– الشيخ علي حسين السلفي رحمه الله: حياته وأعماله د. أمير الإسلام بحر الحق المدني	٧١
أخبار الجامعة: ١٠ – من أخبار الجامعة السلفية	٧٦

الافتتاحية

طريق النجاح في موسم الاختبارات

خورشيد عالم جميل أحمد المدني

تعدّ أيام الاختبارات مرحلةً مهمةً في مسيرة طالب العلم؛ فهي فرصةٌ لاستذكار الدروس، وترسيخ المعارف، وتدارك أوجه القصور. لذا حريّ به اغتنامها، وحسن استثمار وقته فيها، وتركيز جهده في الاستعداد الجيد، مع التحلي بالآداب والتوجيهات الآتية:

١- إخلاص النية وتصحيح القصد

انطلاقًا من قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» [أخرجه البخاري (١)]؛ يجدر بطالب العلم أن يخلص نيته لله تعالى في دراسته واستعداده للاختبارات، قاصدًا مرضاته، والانتفاع بما يتعلم ونفع غيره، متجنبًا الرياء والتفاخر؛ فإن صلحت النية وصحّ القصد، بارك الله في علمه ووقته، وجعل مذاكرته وسعيه من الأعمال التي يُرجى له بها الأجر والثواب.

٢- التوكل على الله وكثرة الدعاء

ولابدّ للطالب أن يتوكل على الله تعالى آخذًا بأسباب النجاح وحسن الاستعداد، وألا يتكل على قدراته وحدها؛ امتثالًا لقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وعليه أن يكثر من الدعاء، ويفوّض أمره لربه؛ فحقيقة التوكل الجمع بين صدق الاعتماد وبذل الجهد.

٣- توثيق الصلة بالله تعالى في كل حال

ومما يتأكد على الطالب أن يوثّق صلته بالله تعالى في أحواله كلّها، وألا يخصّ أوقات الاختبارات والشدائد باللجوء إليه، بل يحافظ على الصلاة والذكر والدعاء وسائر الطاعات في الرخاء واليسر؛ فإن دوام الصلة بالله أساس التوفيق والثبات، وطالب العلم أحوج ما يكون إلى عبادةٍ مستمرةٍ وجدٍّ متواصل، لا إلى اجتهادٍ مؤقتٍ ينقضي بانقضاء الاختبارات.

٤- الاجتهاد ونبذ الكسل والتسويف

لا ينال النجاح بالأماني، وإنما بالجد والمثابرة، والصبر على مشقة التحصيل؛ فعلى الطالب أن يغتنم أوقاته، وينأى بنفسه عن الكسل والتسويف، فلا يؤخر عمل يومه لغده؛ امتثالًا لتوجيه النبي ﷺ: « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» [أخرجه مسلم (٢٦٦٤)].

٥- تنظيم الوقت والعناية بالعقل والجسم

ينبغي للطالب اغتنام وقته باجتناب فضول الكلام وشواغل الهواتف، وترتيب مراجعته بحسب أولوية المواد وصعوبتها، مع إعطاء البدن حظه من الراحة والنوم الكافي؛ استثمارًا لساعات صفاء الذهن وجودة التحصيل؛ فحسن إدارة الوقت ورعاية الجسد من أعظم أسباب التوفيق والنجاح.

٦- مصاحبة الصالحين واجتناب رفقاء السوء

ينصح الطالب بأن يحرص على صحبة المجتهدين والجادين، ويجتنب رفقاء السوء؛ فإن للصحبة أثرًا في الهمة والاجتهاد، وقرين السوء يجرّ إلى تضييع الوقت واللهو عن المذاكرة. وقد قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» [أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني]، وشبّه الجليس الصالح بحامل المسك وجليس السوء بنافخ الكير؛ فالصاحب الصالح يعين على الخير، ويحفّز على الجد والتحصيل.

٧- التعاون والتناصح بين الطلاب

يجدر بالطلاب إشاعة روح التناصح والتعاون المعرفي؛ فيعين المتمكن منهم زميله، بتبادل الملخصات وشحذ همم من يواجهون صعوبة دراسية دون استعلاءٍ أو تثبيط؛ امتثالًا لقوله ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [أخرجه مسلم (٢٦٩٩)]؛ فبذل العلم ومساندة الزملاء من أنبل الأخلاق، وأعظم أسباب التوفيق وترسيخ الأخوة.

٨- اجتناب الغش والخداع

يجب على الطالب اجتناب الغش والخداع؛ لما في ذلك من تحريم ومنافاةٍ للصدق والأمانة، وامتثالًا لقوله ﷺ: «من غشنا فليس منا» [أخرجه مسلم (١٠١)]؛ فلا يطلبنّ نجاحًا زائفًا بمعصية الله؛ فإن ما ينال بالجد والأمانة، وإن قلّ، خيرٌ وأبقى من تفوقٍ موهومٍ

منزوع البركة.

٩- احترام الكتب والمذكرات العلمية وحفظها

وعلى الطالب تعظيم العلم وصيانة كتبه ومذكراته، وتجنّب إهمالها أو رميها بعد الاختبارات، بل يحسن به الانتفاع بها مستقبلًا أو بذلها لمن يحتاج إليها. وما تعذّر الانتفاع به فيتخلّص منه بالدفن في مكانٍ طاهرٍ، أو الحرق، أو وضعه في صناديق الأوراق المحترمة في الجامعة؛ صيانةً لما قد يشتمل عليه من آياتٍ قرآنية وأسماءٍ لله تعالى من الامتهان.

١٠- الرضا بالنتائج وتوقير المعلمين

ويجب على الطالب أن يرضى بما قدّره الله تعالى له من نتائج؛ فيشكر ربّه عند التوفيق دون غرور، ولا يقنط إن لم يبلغ مراده، بل يقف على مواطن تقصيره؛ ليستأنف مسيرته بمزيدٍ من الجد والعزيمة. كما يلزمه توقير معلميه والاعتراف بفضلهم، فلا يحمّلهم تبعة تفريطه، بل يلهج بالدعاء لهم، ويلتزم معهم غاية الأدب وجميل التقدير.

ختامًا:

هذه جملةٌ من أهم التوجيهات لطالب العلم في أيام الاختبارات؛ ليُحسن استعداده، ويغتنم وقته، ويجمع بين الجدّ والأمانة، وحسن الأدب، وصدق التوكل على الله تعالى.

نسأل الله تعالى لأبنائنا الطلاب توفيقًا وسدادًا، ونجاحًا مباركًا.. آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

عقائد وإيمان

معتقد أهل السنة في الإيمان بالقضاء والقدر إجمالا

أ. د. إبراهيم بن عامر الرحيلي

يعتقد أهل السنة وجوب الإيمان بالقدر، وأن الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، وأنه لا يتحقق الإسلام والإيمان إلا بالإيمان بالقدر خيره وشره، على ما دلت على ذلك الأدلة.

وقد نقل العلماء المصنفون في الاعتقاد معتقد أهل السنة في القدر، ونقلوا إجماعهم على الإيمان بالقدر وما يتعلق به من مسائل، كما نقلوا أقوال السلف في ذلك وتشديدهم على من كذبّ بالقدر أو خالف فيه.

وفيما يلي بيان لذلك:

أولًا: أقوال الأئمة في وصف معتقد أهل السنة في القدر:

قال الإمام أحمد: «أجمع سبعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ:

أولها: الرضي بقضاء الله والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى عنه؛ وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره»(١).

وقال ابن قتيبة رحمه الله: «وعدل القول في القدر: أن تعلم أن الله عدل لا يجور، كيف خلق، وكيف قدّر، وكيف أعطى، وكيف منع، وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قبله، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون، وأن لله لطيفة يبتدئ بها من

(١) مناقب الإمام أحمد، ص: ٢٤٠.

أراد، ويتفضل بها على من أحب!، ويوقعها في القلوب فيعود بها إلى طاعته، ويمنعها من حقت عليه كلمته، فهذه جملة ما ينتهي إليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل، وما سوى ذلك مخزون عنه»(١).

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله في وصف عقيدة أهل السنة: «والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدّره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه.

علم كل شيء قبل كونه، فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يضلّ من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره، من شقي وسعيد.

تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو، رب العباد ورب أعمالهم، والمقدّر لحركاتهم وآجالهم، الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم»(٢).

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدّون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه، ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا حجة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه ... ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مردّ لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه ... ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم – مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه–: أن لا

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة، ص: ٣٥- ٣٦.

(٢) مقدمة أبي زيد القيرواني، ص: ٦- ٧.

يضاف إلى الله ما يتوهم منه نقص على الانفراد؛ فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه ... ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد، خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء ألا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين، وإيمان المؤمنين؛ بقضائه سبحانه وتعالى وقدره وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية»(١).

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله: «وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومرّه قليله وكثيره، بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلًا، فهو سرّ استأثر به، وعلم حجبه عن خلقه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل هذه المسألة أن يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء، ولا

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ٣١- ٢٩.

(٢) عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني المقدسي، ص: ٧٧.

يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه.

وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في هذا أفعال العباد وغيرها.

وقد قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدّر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة.

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»(١).

وذكر في موطن آخر أن: «السلف والأئمة كما أنهم متفقون على الإيمان بالقدر، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وأنه لا حجة لأحد في ترك مأمور ولا فعل محظور؛ فهم أيضًا متفقون على أن الله حكيم رحيم، وأنه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين»(٢).

وقال ابن أبي العزّ الحنفي: «والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونًا، ولا يرضاه دينًا»(٣).

ثانيًا: أقوال السلف والأئمة في الإيمان بالقدر، والتحذير من المخالفين فيه، وتشديدهم في ذلك:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «جاء رجل إلى أبي بكر، فقال: أرأيت الزنا، بقدر؟ قال: نعم، قال: فإن الله قدّره علي ثم يعذبني؟ قال: نعم يا ابن الخنا، أما والله لو كان عندي إنسان

(١) مجموع الفتاوى: ٨/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ٨/ ٤٦٦.

(٣) شرح الطحاوية، ص: ٢٢٥.

أمرت أن يجأ أنفك»(١).

وعن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو يطوف بالبيت، يقول: «اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقاوة فامحني منها، وأثبتني في السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب»(٢).

وبلغ عمر رضي الله عنه فقيل له: إن ناسا يتكلمون في القدر، فقام خطيبًا فقال: «يا أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم في القدر، والذي نفس عمر بيده، لا أسمع برجلين تكلّما فيه إلا ضربت أعناقهما، قال: فأحجم الناس، فما تكلّم فيه أحد حتى ظهرت نابغة الشام»(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر عنده القدر يومًا، فأدخل أصبعيه السبابة والوسطى في فيه، فرقهم بهما في باطن يده، فقال: «أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب»(٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: «إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستقرّ يقينًا غير ظنّ أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويقرّ بالقدر كله»(٥).

وعن عبد الله مسعود رضي الله عنه قال: «أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، فاتبعوا ولا تبتدعوا؛ فإن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره»(٦).

وكان رضي الله عنه يدخل إصبعه في فيه، ويقول: «لا والله، لا يطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر، ويقرّ ويعلم أنه ميت مخرج، وأنه مبعوث من

(١) أخرجه اللالكاني: ٤/ ٧٣٤.
(٢) أخرجه اللالكاني: ٤/ ٧٣٥، البيهقي في القضاء والقدر، ص: ٢١٦.
(٣) أخرجه ابن بطة: ٤/ ٣١٠، واللالكائي: ٤/ ٧٣٦.
(٤) أخرجه اللالكاني: ٤/ ٧٣٧ والبيهقي في القضاء والقدر، ص: ٣٠٠.
(٥) أخرجه اللالكاني: ٤/ ٧٣٨ والبيهقي في القضاء والقدر، ص: ٢٩٩.
(٦) أخرجه ابن بطة: ٤/ ٣٦، واللالكائي: ٤/ ٧٣٨.

بعد الموت»(١).

وعن طاوس رحمه الله قال: «أشهد أني سمعت ابن عباس يقول: العجز والكيس بقدر»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحّد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضًا للتوحيد، ومن وحّد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى لا انفصام لها»(٣).

وعن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: إنا نسافر فنلقى قومًا يقولون: لا قدر، قال: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات»(٤).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال له ابنه عبد الرحمن: أوصني، قال: أجلسوني، فأجلسوه، ثم قال: يا بنيّ اتق الله، ولن تتقي الله حتى تؤمن بالقدر، ولن تؤمن بالقدر حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القدر على هذا، من مات على غير هذا أدخله الله النار»(٥).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «قضي القضاء، وجفّ القلم، وأمور بقضاء في كتاب قد خلا»(٦).

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفرّ من القدر وهو لاقيه، ويرى في أعين أخيه القذا فيعيبها، ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبها، ويكون في دابته الصعر ويقوّمها جهده، ويكون في نفسه

(١) أخرجه اللالكاني: ٤/ ٧٣٨ والبيهقي في القضاء والقدر، ص: ٢٩٩.
(٢) أخرجه ابن بطة: ٤/ ٣٦، واللالكائي: ٤/ ٧٣٨.
(٣) أخرجه ابن بطة: ٤/ ٥٧، واللالكائي: ٤/ ٧٣٩.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه الفريابي، ص: ٧٨، والآجري: ٢/ ٧٩٢، واللالكائي: ٤/ ٧٤٥، والبيهقي في القضاء والقدر، ص: ٣٠٦.
(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة: ٢/ ٤٠٥، والفريابي، ص: ٨٨، وابن بطة: ٤/ ٢٣٠، واللالكائي: ٤/ ٧٤٦.

الصعر فلا يقومها»(١).

وعن أبي الحجاج الأزدي رحمه الله قال: سألت سلمان، ما الإيمان بالقدر؟ فقال: «أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(٢).

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: «ما ظنّ ذباب بين اثنين إلا بكتاب مقدّر»(٣).

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال في مرضه الذي مات فيه: «إن الله قدر أجلا، وقدّر معه مرضًا، وقدر معه معافاة، فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق»(٤).

وعن علي بن حسين رحمه الله أنه قال: «إن أصحاب القدر حملوا مقدرة الله عز وجل على ضعف رأيهم، فقالوا لله: لم؟ ولا ينبغي أن يقال لله: لم؟»(٥).

وقال جعفر الصادق رحمه الله: «الله عز وجل لا يعصى قهرًا ولا يطاع قهرًا، فإذا أراد الطاعة كانت، وإذا أراد المعصية كانت، وإذا أراد المعصية كانت، فإن عذّب فبحق، وإن عفا فبالفضل»(٦).

فبالفضل»(٦).

وقال غيلان لربيعة بن أبي عبد الرحمن رحمه الله: «يا ربيعة، أنت الذي تزعم أن الله يحب أن يعصى؟ فقال له ربيعة: ويلك يا غيلان، أنت الذي تزعم أن الله يعصى قسرًا»(٧).

وعن الأوزاعي رحمه الله أنه قال: «القدرية خصماء الله عز وجل في الأرض»(٨).

وقال مالك بن أنس رحمه الله: «ما أضل من يكذّب القدر! لو لم تكن عليهم حجة إلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى

(١) أخرجه اللالكائي: ٤/ ٧٤٧.
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة: ٢/ ٤٢١، واللالكائي: ٤/ ٧٤٩، والبيهقي في القضاء والقدر، ص: ٣٠٥.
(٣) أخرجه اللالكائي: ٤/ ٧٥٣.
(٤) أخرجه اللالكائي: ٤/ ٧٥٥.
(٥) أخرجه اللالكائي: ٤/ ٧٥٨.
(٦) أخرجه اللالكائي: ٤/ ٧٥٩.
(٧) أخرجه بن بطة: ٤/ ٢٦٠، واللالكائي: ٤/ ٧٦٠.
(٨) أخرجه بن بطة: ٤/ ٢٥٥.

خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، لكفى به حجة»(١).

وأقوال السلف في إثبات القدر كثيرة مستفيضة في كتب الاعتقاد والسنة، وهي في كثرتها وتنوع ألفاظها ودلالاتها تدل على رسوخ الإيمان بالقدر في نفوس السلف رضي الله عنهم.

***

(١)أخرجه بن بطة: ٤/ ٢٥٦.

أخلاق وآداب

أخلاق النبي ﷺ

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلّم تسليما كثيرًا. أما بعد:

فاتقوا الله- عباد الله- حق التقوى، وراقبوه في السرّ والنجوى.

أيها المسلمون: كرّم الله بني آدم وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، واجتبى منهم من خصه بالنبوة والرسالة، واصطفى من أولئك: أفضلهم؛ نبينا محمد بن عبد الله، صفوة بني هاشم، وهاشم خيار قريش، فهو خيار من خيار، اختاره الله لهذه الأمة؛ لهدايتها إلى دين الله القويم، وصراطه المستقيم، فكانت حياته عبادة وشكرًا، ودعوة وحلما، وابتلاء وصبرًا، تحلّى فيها بخلق سام وفأل محمود، شمائله عطرة وسيرته حافلة، قال ابن القيم رحمه الله: «اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر» زاد المعاد (١/ ٦٩).

ما من خير إلا دلّ الأمة عليه، وما من شرّ إلا حذرها عنه، قال عن نفسه ﷺ: «ما يكن من خير فلن أدّخره عنكم» متفق عليه.

قضى قريبًا من شطر زمن رسالته يدعو لأمر واحد هو أعظم أمر أمر الله به، من لم يستجب له فيه خلّده الله في النار وحرّم الجنة عليه، استفتح رسالته

به وقام على جبل الصفا وقال لقريش: «قولوا: لا إله إلا الله؛ تفلحوا».

مكث عشر سنوات في مكة لا يدعو إلى شيء سواه، ثمّ دعا إلى بقية الشرائع معه إلى مماته، ووعد من حقّق هذا الأمر بدعوة منه مستجابة له يوم القيامة، فقال: «لكل نبي دعوة مستجابة؛ فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» متفق عليه.

كثير التعبد لله؛ قام بالطاعة والعبادة خير قيام، قدماه تتشقق من طول القيام، في ركعة واحدة قرأ البقرة وآل عمران والنساء، وكان جميل الصوت في تلاوة القرآن؛ قال البراء رضي الله عنه: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾؛ فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه» متفق عليه.

خاشع لله يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، ولسانه لا يفتر عن ذكر الله، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» رواه مسلم(٣٧٣).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «إن كنّا لنعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرّة؛ يقول: رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم».

يحب الصلاة ويوصي بها؛ قال أنس رضي الله عنه: «كانت عامة وصية النبي ﷺ حين موته: الصلاة، وما ملكت أيمانكم، قال: حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه- أي: ما يقدر على الإفصاح بها-» رواه أحمد وصححه الألباني.

وكان يحث صغار الصحابة على نوافل الصلوات؛ قال لابن عمر رضي الله عنهما وهو فتى: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل» متفق عليه.

يقينه بالله عظيم، موقن بأن كلام الله فيه شفاء، إذا مرض يرقي نفسه بكلام الله، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه

بالمعوذات وينفث» متفق عليه.

معظم للرسل من قبله؛ قال له رجل: «يا خير البرية! فقال: ذاك إبراهيم» رواه مسلم(٢٣٦٩).

ونهى عن إطرائه وتعظيمه؛ فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده؛ فقولوا: عبد الله وورسوله» رواه البخاري(٣٤٤٥).

يدعو كل أحد إلى هذا الدين ولو كان المدعو صغيرًا، زار غلامًا يهوديًا مريضًا، فقعد عند رأسه، وقال له: «أسلم؛ فأسلم- الغلام-» رواه البخاري(١٣٥٦)، يتواضع للصغير ويغرس في قلبه العقيدة؛ قال لابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام! إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي(٢٥١٦) وصححه الألباني.

يتلطف في تعليم صحابته ويظهر ما في قلبه من حبّه لهم؛ أخذ بيد معاذ وقال له: «إني أحبك، فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! وأنا أحبك، قال: أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» رواه أبو داود(١٥٢٢) وصححه الألباني.

لا يعنّف ولا يتكبر؛ بل صدره منشرح لكل أحد؛ دخل رجل وهو يخطب، فقال: «يا رسول الله! رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي، حسبت قوائمه حديدًا، قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلّمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتمّ آخرها» رواه مسلم(٨٧٦).

رفيق بالشباب ومشفق عليهم؛ قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنّ أنّا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمّن تركنا في أهلنا؛ فأخبرناه، وكان رفيقًا رحيمًا، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم،

ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلي» متفق عليه.

دمث الأخلاق، ليس بفاحش ولا متفحش في الألفاظ، وحياؤه أشدّ من العذراء في خدرها.

عفّ اليد، لم يضرب أحدًا في حياته، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله»، ولم ينتقم لنفسه، بل يعفو ويصفح، وإذا خيّر بين أمرين أخذ أيسرها ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه.

طلق الوجه، قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ما رآني رسول الله ﷺ قط إلا تبسّم».

واصل لرحمه، صادق في حديثه، قاض لحوائج المكروبين، قالت له خديجة رضي الله عنها: «إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

بارّ بوالدته، زار قبرها فبكى وأبكى من حوله، وقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي» رواه مسلم(٩٧٦).

يوصي بالجار ويحث على حسن جواره وإكرامه، قال لأبي ذر رضي الله عنه: «إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك» رواه مسلم (٢٦٢٥).

رقيق القلب رفيق بمن تحت يده؛ خدمه أنس رضي الله عنه عشرسنين، فما قال له النبي ﷺ أفّ قط، ولا قال لشيء صنعه: لم صنعت، ولا: ألا صنعت؟

رحيم بالضعفاء والمرضى؛ أمر من يصلي بهم أن يخفف صلاته من أجلهم، رؤوف بالناس شديد الحلم؛ بال أعرابي جهلًا منه في مسجده، فتناوله الناس، فقال لهم: «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء – أو ذنوبا من ماء– فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين» رواه البخاري(٢٢٠).

كثير البذل والعطاء، لا يردّ سائلا

ولا محتاجا؛ قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني» متفق عليه.

كريم اليد واسع الجود؛ جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، ورأى رجل عليه بردةً فقال: «اكسنيها، ما أحسنها! فأعطاه إياها» رواه البخاري(١٢٧٧).

طيب لا يأكل إلا طيبًا، يتوارى عن أي شبهة في المطعم أو المشرب؛ قال ﷺ: «إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد التمرة ساقطة على فراشي، فأرفعها فآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة؛ فألقيها» متفق عليه.

يجلّ صحابته ويعظّم مكانتهم- وإن كانوا حديثي السن-، قال عن أسامة بن زيد- وهو لم يتجاوز حينذاك الثامنة عشرة من عمره-: «أوصيكم به؛ فإنه من صالحيكم» رواه مسلم، وإذا مرض أحدهم عاده وحزن لمصابه، زار سعد بن عبادة فوجد مرضه شديدًا فبكى.

وفي مع صحابته، لم ينس فضلهم وإيثارهم، آخر يوم صعد فيه المنبر قال: «أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي- أي جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم وأعتمدهم في أموري- وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» رواه البخاري(٣٧٩٩).

وحفظ لخديجة رضي الله عنها مواقفها العظيمة وبذلها السخي، وعقلها الراجح، فكان يذكرها بالخير بعد وفاتها ويصل أقرباءها ويحسن إلى صديقاتها.

وأمر بسدّ كل خوخة -أي: باب يفتح من بيوتهم على مسجده- سوى باب أبي بكر رضي الله عنه وفاءً له.

ومع عظم أعباء ما أوكل إليه من الرسالة كان جميل العشرة مع أهله متلطفًا معهم، فإذا دخل بيته «يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» رواه البخاري(٦٧٦).

رقيق مع أولاده وأحفاده مكرم لهم، «إذا دخلت ابنته فاطمة يقوم لها

ويأخذ بيدها ويجلسها في مكانه الذي كان يجلس فيه» رواه أبو داود، وكان يضع الحسن على عاتقه فيقول: «اللهم إني أحبّه فأحبّه» متفق عليه، وخرج على صحابته وبنت ابنته أمامة على عاتقه، فصلى بها، «فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها» متفق عليه.

وصف عثمان رضي الله عنه معاملته لصحابته فقال: «صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير» رواه أحمد(٥٠٤).

ذاق من الحياة مرّها ولأواءها؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «جاءتني امرأة، ومعها ابنتان لها، فسألتني؛ فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة» متفق عليه، وربط على بطنه الحجر من الجوع؛ قال عمر رضي الله عنه: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلًا- أي رديء التمر- يملأ به بطنه» رواه مسلم(٢٩٧٨).

لاقى من المحن والشدائد أشقّها؛ نشأ يتيمًا، وأخرج من بلده، وحوصر في الشعب ثلاث سنين، واختفى في غار، ومات له ستة من الولد، وتبعه قومه في مهاجره وقاتلوه، ومكر به أهل النفاق، وسقي السمّ، وعمل له السحر، وكان يقول: «أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد» رواه الترمذي(٢٤٧٢) وصححه الألباني، ومع ما لاقاه من تلك المصائب وغيرها كان متفائلًا في حياته ويقول: «يعجبني الفأل؛ الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة» متفق عليه.

أعرض عن الدنيا ورجا ما عند الله؛ فكان يقول: «ما لي وللدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها» رواه الترمذي(٢٣٧٧) وصححه الألباني، ففارق الحياة ولم يخلف شيئًا من حطامها؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا شاةً ولا بعيرًا، ولا أوصى بشيء» رواه مسلم(١٦٣٥)، وصفه

علي رضي الله عنه بقوله: «لم أر قبله ولا بعده مثله» رواه الترمذي(٣٦٣٧) وصححه الألباني.

وبعد، أيها المسلمون: فالنبي ﷺ قد أدّى أمانة رسالته ونصح لأمته، وقال: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب –طائر يشبه الجراد– والفراش يقعن فيها، وهو يذبّهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلّتون من يدي» رواه مسلم(٢٢٨٥).

ومن وفاء الأمة له: أداء حقوقه من الإيمان به والتصديق بما جاء به، فقال: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة– يهودي ولا نصراني–، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم(١٥٣)، ومن حقه ﷺ: تقديم حبّه على جميع المحابّ؛ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه.

ومن واجبات الأمة في جنابه: طاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر؛ قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» رواه البخاري(٧٢٨٠).

ومن أصول الشهادة له بالرسالة: أن لا يعبد الله إلا بما شرع؛ قال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور» رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني.

ومن محبته: قراءة سيرته ومعرفة هديه في كل حين، ونشر دعوته في الآفاق، وأن يدعو المسلم لما دعا إليه من التوحيد وأوامر الدين ومحاسنه وفضائله، ومن جعل النبي ﷺ قدوة في عباداته ومعاملاته؛ نال الفلاح والرضا.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

أيها المسلمون: سعادة الدارين بطاعته ﷺ، وعلى قدر متابعته تكون

الهداية والعزة والنجاة؛ قال عز وجل: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤].

ومن أطاعه صلح دينه وحسنت دنياه وانشرح صدره، ومن أحب أن يكون رفيقه في الآخرة فليكن مقتفيا أثره، ومستنًا بسنته، معرضا عما يناقض الشهادة له بالرسالة أو ينقصها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

التعليم والتربية

محمد بن عبد الله القرشي ﷺ خير معلم

فضيلة الشيخ لطف الحق المرشد آبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية دلال فور

(الحلقة الأولى)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه كلمة موجزة في «محمد بن عبد الله القرشي ﷺ خير معلم» أريد أن أقدمها بين أيديك لتعرف بذلك جيدًا أن محمدًا رسول الله ﷺ بعثه الله إلى الناس كافة معلمًا كاملا ومربيا صالحا وقائدًا ناجحا ليعلمهم كل ما يحتاجون إليه في حياتهم من مرافق الحياة ومستلزماتها، ولذا فإذا درست السيرة النبوية الشريفة – على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التحيات- رأيت أن الرسول ﷺ ما ترك مجالًا من مجالات الحياة إلا وبيّنه وفصّله تفصيلًا، وعلّم أتباعه وأصحابه رضي الله عنهم كل شيء حتى الخراء.

أخي القارئ الكريم! اعلم أنه قد ظهر كثير من المعلمين والزعماء والقواد والرواد والمثقفين على ظهر الأرض في مختلف العصور ليقودوا بشر العالم الحائر إلى النجاة والسلامة والسعادة والصلاح والفلاح والخير، وينقذوا العالم من الخطر والضرر والدمار والهلاك لكنهم قد فشلوا في قيادة الإنسان الحائر إلى الطريق الأقوم والمنهج الأسلم شرّ فشل، وباؤوا بالخيبة والحرمان والقنوط والخسران.

لا يخفى على دارس السيرة النبوية العطرة أن النبي محمدًا ﷺ أول من

أصلح حال العالم العقدي والخلقي والسلوكي والسياسي والمعاشي والديني والاجتماعي والتعليمي والتهذيبي والعسكري والفكري في تاريخ البشرية جمعاء، وهو أول من غيّر نظام العالم الفاسد المتدهور، وأسس القواعد العادلة الحكيمة الراشدة والضوابط السليمة الجامعة للأسرة والمجتمع والدولة، وحوّل الأنظمة الجائرة إلى النظم العادلة الصالحة القائدة إلى الرشد والهداية والصلاح والفلاح والنجاة والسلامة، وهو أول من عرّف أصول الصحة والنظافة والطهارة، وأصول الأخلاق والمعاملة والمعاشرة والآداب لأول مرة في تاريخ الإنسانية لم يسبقه إلى بيان ذلك أحد من البشر.

وهو أول من قنّن القوانين وأصّل الأصول ووضع الضوابط والدساتير لسائر شؤون الحياة.

وإني قد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مباحث، وهي ما يلي:

١. **من تعليمات النبي محمد ﷺ السامية في الطهارة والنظافة.**

٢. **من تعليماته ﷺ في الطعام.**

٣. **من تعليماته ﷺ في الشراب.**

ولذا فإني أودّ أن أبين لكم ما هي تعليمات النبي محمد ﷺ السامية في هذه المجالات الثلاث لتطلعوا على ذلك، ولو ذهب العادّ إلى أن يحصي تعليمات الرسول ﷺ السمحة وتوجيهاته العالية التي قدّمها بين يدي العالم ما أحصاها ... وعجز عن إحصائها...

فمن أهم وأنفع تعليمات النبي ﷺ الواردة في مجال النظافة ما يلي:

١. **اهتمام النبي محمد ﷺ بالطهارة:**

إذا درست الهدي النبوي القيم وجدت أن النبي محمدًا ﷺ اعتنى بأمر الطهارة والنظافة اعتناءً عظيمًا حيث جعلها نصف الإيمان فقال: «... الطهور شطر الإيمان»(١).

كما جعلها شرطًا لصحة الصلاة فلا يقبل الله تعالى صلاة بغيرها، وجعل طهارة البدن والمكان والثوب أمرًا لازمًا لصحة الصلاة، ونظرًا إلى الاهتمام

(١) صحيح مسلم: ٢٢٣.

البالغ بالنظافة أمر الشارع عليه السلام بتنظيف المساجد والمساكن والملابس والأواني والشوارع وتطييب الدور وأفنيتها وتطهير الأبدان والأسنان، وجعل المرء لا يؤمن حتى يكون متطهرًا متنظفًا متطيبًا، وحثّ أتباعه وأنصاره رضي الله عنهم على ذلك كثيرًا، وقدّم أمام بشر العالم الحائر الأصول العظيمة الواضحة والمبادئ السامية القيمة للصحة والنظافة لو أخذها وسار عليها لتمتع بالصحة الموفورة، وسلم من كثير من الأمراض والأوجاع التي تحيق به.

وإني أحب الآن أن أذكر توجيهات النبي محمد ﷺ السامية الواردة في باب النظافة فيما يلي واحدًا واحدًا لتطلع على ذلك:

١. عناية النبي ﷺ بأمر السواك:

إذا درست السيرة النبوية الشريفة وجدت أن الرسول ﷺ اهتمّ بالسواك فعلًا وقولًا سفرًا وحضرًا، ولفت نظر أمته إلى الاستنان عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند قراءة القرآن وعند الاستيقاظ من النوم، ورغّبهم في ذلك كثيرًا، وأخبر أن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب، وأن الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في هذا الباب كثيرة معلومة روتها كتب الحديث لا حاجة إلى إعادتها وذكرها هنا لضيّق المقام.

وإن في السواك منافع طبية جمة وفوائد عظيمة، فقد أثبت الطب الحديث كثيرًا من المنافع الطبية له، من أهمها ما يلي:

إن السواك له دور بارز مهم في الحفاظ على الصحة والوقاية من العشرات من أمراض الفم واللثة والسن، كما على سبيل التمثيل أنه يصفي الصوت ويطيّب النكهة، ويخرج البلاغم المجتمعة في الصدر، وتحد البصر، ويشد المعدة، وينجي من الزكام، ويقي كذلك من أمراض الفم والسن، ويحمي الإنسان من العشرات من أمراض البدن كذلك.

لو أخذت الأمة توجيهات النبي محمد ﷺ الواردة في باب السواك وسارت عليها لنجت وسلمت من كثير من أمراض الفم واللثة والسن.

لا ترى من اهتمّ بالسواك قبل النبي محمد ﷺ من المعلمين والمثقفين في تاريخ الإنسانية جمعاء غير المعلم الأول محمد بن عبد الله القرشي ﷺ، فإنه هو الذي أرشد أمته إلى كثير من الأصول العظيمة الواضحة الجامعة والمبادئ السامية القيمة الشاملة للصحة والنظافة والطهارة ما استطاع أحد تقديم مثل هذه الأصول والمبادئ للنظافة والصحة.

٢. اهتمامه ﷺ بخصال الفطرة – أعني- السواك، والختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقصّ الشارب، وغسل البراجم، والاستنجاء:

فقد ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، انتقاص الماء. وقال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة(١).

أخي القارئ الكريم! –وفقك الله– لقد أرشد المعلم الأول نبي الله محمد بن عبد الله القرشي ﷺ أمته إلى أصل عظيم من أصول الصحة والنظافة لو أخذها بشر العالم الحائر وسار عليها وطبّقها في حياته لتمتع بالصحة ونجا من كثير من الأمراض والأوجاع.

لو ذكرت فوائد ومنافع الخصال والسنن العشر السابقة في الحديث النبوي الشريف من منظور الطب لطال الكلام وضاق المقام دون شك، لا تجد من قدّم أمام بشر العالم الحائر الأصول والمبادئ للصحة والنظافة مثل الذي قدّم المعلم الأول نبي الله محمد ﷺ.

٣. اعتناؤه ﷺ بتعليم آداب وسنن الاستنجاء (البول والبراز):

إن دارس السيرة النبوية العطرة يجد أن الرسول ﷺ علّم أصحابه وأنصاره رضي الله عنهم سنن وآداب الاستطابة فنهى عن الاستنجاء باليمين، وعن مس الذكر باليمين، وعن الاستنجاء بالرجيع والعظم لما ثبت في صحيح مسلم عن

(١) صحيح مسلم: ٢٦١.

سلمان رضي الله عنه قال: قيل له: قد علّمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو عظم(١).

هل من معلم من المعلمين الأولين قدّم تعليمًا أحسن وتوجيهًا أكمل وأفضل من تعليم المعلم الأول النبي محمد ﷺ في مجال النظافة والطهارة –فعلى نبينا ومعلمنا ومربينا محمد ﷺ خير تحية وأفضل سلام إلى يوم الدين– حيث لم يترك مجالًا من مجالات الحياة كلها إلا بيّنه خير بيان وفصّله تفصيلا، وعلّمنا كل ما نحتاج إليه في ديننا حتى الخراءة التي ذكرت في الحديث الشريف.

ومن سنن وآداب الخلاء التي علّمنا الرسول ﷺ أنه نهى عن مسّ الذكر باليمين، وعن الاستنجاء باليمين عند الغائط كما في الحديث. عن أبي قتادة أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء، وأن يمس ذكره بيمينه وأن يستطيب بيمينه(٢).

ومن سنن وآداب الخلاء التي أرشد إليها النبي محمد ﷺ أصحابه رضي الله عنهم نهيه عن التخلي في الطريق والظل والمورد، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم(٣).

إن المعلم الأول النبي محمدًا ﷺ لقد سدّ الطريق ومنع الأبواب كلها لانتشار الأمراض والأوبئة بين البيئة الإنسانية بنهيه أتباعه وأنصاره رضي الله عنهم عن التخلي في المواضع الثلاث المذكورة، فإن عامة الأمراض والأوجاع إنما تنتشر بتجنس الأماكن وتقذرها وتكّدر البيئات الإنسانية وتلوثها بالنجاسات والأقذار كما كشفت البحوث العلمية الحديثة.

(١) صحيح مسلم: ٢٦٢.

(٢) صحيح مسلم: ٢٦٧.

(٣) صحيح مسلم: ٢٦٩.

٤. ومن السنن والآداب الواردة في الخلاء نهي النبي محمد ﷺ أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم عن البول في الماء الراكد.

من له أدنى إلمام بالسيرة النبوية الشريفة يعرف جيدًا أن المعلم الأول ﷺ لقد نهى أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم عن البول في الماء الدائم الذي لا يجري؛ لأن البول فيه ينجّس الماء ويقذره، واستعمال الماء النجس القذر يورث انتشار الأمراض والأوجاع. فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم ثم تغتسل منه(١).

أرشد النبي محمد ﷺ أتباعه رضي الله عنهم إلى أصل عظيم من أصول الصحة والنظافة لو أن الإنسان أخذه وسار عليه وطبّقه في حياته لسَلِمَ ونجا من كثير من الأمراض والأوجاع والآلام، وتمتع بالصحة الموفرة والعافية التامة.

فالواجب على المسلمين أن يجتنبوا البول أو الغائط في الماء الدائم الذي لا يجري سواء كان كثيرًا أو قليلًا.

وإن البول في الماء الراكد باستمرار وتوالٍ يفضي إلى تنجيس الماء وتقذيره دون ريب، وإن استعمال مثل هذا الماء الفاسد المتعفن شربًا وتطهرًا ضار بالصحة الإنسانية من منظور الطب.

٥. رفقه ﷺ في تعليم الأعرابي الجاهل بالشريعة:

جاء أعرابي وشرع يبول في ناحية المسجد، فجعل أصحاب النبي محمد ﷺ يزجرونه وينهرونه، فقال الرسول ﷺ: لا تقطعوا بوله، دعوه، فتركوه، فلما فرغ دعاه الرسول ﷺ فقال له ناصحًا: إن هذه المساجد لا ينبغي لأحد أن يأتي بشيء من البول ولا القذر، وإنما هي بنيت لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ، فأمر رجلًا من أصحابه فجاء بدلو من ماء فصبّه عليه، كما في الحديث عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله

(١) صحيح مسلم: ٢٨٢.

ﷺ: لا تزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه(١).

يتجلى لدارس السيرة النبوية الشريفة بأدنى تأمل في هذه القصة السالفة واضحًا جليًا جانب رفق النبي ﷺ في تعليم البدوي الجاهل بالدين المذكور في الحديث وتأديبه وتربيته كما يجده ﷺ أنه لم يختر في تعليم ذلك البدوي وتأديبه جانب الفظاظة أو الشدة والعنف والغلظة. هل من معلم من معلمي الدنيا الأقدمين قدّم أدنى مثال لذلك..؟ يكون الجواب بـ«لا».

ثم بعد ذلك دعا الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم وقال لهم ناصحًا: إنكم بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، كما روى البخاري في صحيحه هذه القصة بهذا اللفظ المذكور.

ولذلك لا ترى في تعليم النبي محمد ﷺ جانب التشديد ولا التهديد ولا التعنيف ولا التغليظ والتعسير قط، بل ترى في تعليمه جانب التيسير والرفق والسماحة واللين دائمًا.

٦. اهتمامه ﷺ بتطهير النجاسات:

ومن توجيهات الرسول ﷺ السامية القيمة الواردة في تطهير النجاسات والأقذار عنايته الشديدة بتطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بالماء.

إن دارس السيرة النبوية الشريفة يعرف جيدًا أن المعلم الأول محمدًا ﷺ أرشد أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم إلى غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات أولاهنّ أو أخراهن بالتراب، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهنّ بالتراب(٢).

علّمنا الرسول محمد ﷺ أن نغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات

(١) صحيح مسلم: ٢٨٥.

(٢) صحيح مسلم: ٢٧٩.

أولاهن بالتراب، فبهذه الطريقة المرضية تحصل طهارة الإناء ونظافته.

لا ترى في تاريخ البشرية جمعاء من قدّم أمام بشر العالم الحائر من المعلمين والمربين والمثقفين أحسن تعليمًا وأنفع توجيهًا في باب تطهير النجاسات والقاذورات من النبي محمد بن عبد الله القرشي ﷺ، والتاريخ بأسره قاصر عن تقديم أدنى نموذج لذلك.

ومن التعليمات النبوية القيمة الواردة في باب الطهارة نهي النبي محمد ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن أن يغمسوا أيديهم في الإناء قبل أن يغسلوها ثلاثًا عند الاستيقاظ من النوم. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا فإنه لا يدري أين باتت يده(١).

أرشد النبي ﷺ أتباعه رضي الله عنهم إلى ألا يغمسوا أيديهم في الإناء قبل غسلها ثلاثا إذا استيقظوا من النوم تجنبًا من فساد الماء.

إنما أمر الشارع عليه الصلاة والسلام أمته باستعمال الماء الطاهر المطهر دائمًا شربًا وتطهرًا، ونهى عن استعمال الماء الذي نجس وفسد بوقوع النجاسات والأقذار فيه وتغيّر أحد أوصافه الثلاثة – الطعم واللون والريح- حفاظًا على الصحة ووقاية من الأمراض والأخطار التي تلحق بحياتهم – فعليه ألف ألف صلاة وسلام ما دامت السماوات والأرض- .

نهيه ﷺ عن البول في المستحمّ:

ومن السنن الواردة في النظافة والطهارة نهي النبي محمد ﷺ عن البول في المستحم.

ففي الحديث عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يبولنّ أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه(٢).

أرشد النبي محمد ﷺ أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم إلى ألا يبولوا في المستحم، إن البول في الحمامات والمغتسلات عادة قبيحة وخصلة مذمومة ذمّها الإسلام

(١) صحيح مسلم: ٢٧٨.

(٢) سنن أبي داود. حديث صحيح.

الحنيف ذمًا شديدًا لئلا يكون المكان نجسًا فاسدًا متلوثًا بالنجاسات.

الاستنجاء بالماء بعد قضاء الحاجة:

ومن السنن والآداب الواردة في الخلاء إرشاد النبي ﷺ إلى الاستنجاء بالماء بعد الانصراف من الغائط أو البول، ففي الحديث عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ دخل حائطًا وتبعه غلام معه ميضأة وهو أصغرنا فوضعها عند سدرة فقضى رسول الله ﷺ حاجته فخرج علينا وقد استنجى بالماء(١).

أرشدنا النبي محمد ﷺ إلى أن نستنجي بالماء بعد الانصراف من الغائط أو البول، ولا شكّ أن هذا أصل عظيم من أصول الصحة والنظافة التي أرشدنا إليها المعلم الأول محمد ﷺ لنأخذها ونعمل بموجبها. وفي اتباع سنة النبي ﷺ كل الفلاح والصلاح للأمة.

والذين يستنجون بعد الانصراف من الغائط بالأوراق وبأشياء أخر من المناديل ونحوها بدلًا من الماء لا تحصل الطهارة التامة والنظافة الكاملة دون ريب.

وإن الأصول والطرق التي علّمها النبي محمد ﷺ أصحابه وأنصاره رضي الله عنهم هي أسلم وأقوم وأنفع وأحرى بالقبول والانقياد والأخذ ... دون شك في باب الخلاء.

وقد كشفت البحوث العلمية الحديثة أن الماء من أفضل الوسائل وأقوى الذرائع للتطهير والتنظيف، كما أنه أنفع دواء وأنجع علاج لكثير من الأمراض والأوجاع والآلام، ولذا لا يقوم مقامه شيء من الأوراق والأشياء الأخر من المناديل والملابس في التطهير.

ومن أهم السنن الواردة في الخلاء والتي أرشد إليها النبي محمد ﷺ أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم التستر عند قضاء الحاجة.

كما ورد في صحيح مسلم من حديث ابن جعفر قال في حديثه، وكان أحبّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل(٢).

---

(١) صحيح مسلم: ٢٧٠.

(٢) صحيح مسلم: ٣٤٢.

أرشد النبي محمد ﷺ أمته إلى أصل عظيم للخطاء وهو التستر عند الغائط، فينبغي للإنسان أن يتباعد لقضاء الحاجة عن الناس ويستتر عن أعين الناظرين.

اعتزال الحائض:

أخي القارئ الكريم! اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر باعتزال الحائض أيام الحيض تحقيقًا لمعنى الطهارة والنظافة وحفاظًا على الصحة الإنسانية، وذلك لأن جماع الحائض ضار، اتفق على ذلك الأطباء قاطبةً يتولد لأجله عديد من الأمراض الخطيرة والأوجاع المزمنة التي يصاب بها المجامعون من الرجال والنساء على حد سواء كما كشفت الأبحاث العلمية الحديثة. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فأخبر سبحانه وتعالى أن الحيض أذى ولهذا اجتنبوا الحيض ما دامت يحضن وآتوهنّ إذا تطهّرن.

ومن له أدنى إلمام بالسيرة النبوية الشريفة يعرف جيدًا أن النبي محمدًا ﷺ شدّد في النهي عن إتيان الحائض، كما في الحديث عن ابن عباس، عن النبي ﷺ – في الذي يأتي امرأته وهي حائض– قال: يتصدق بدينار أو نصف دينار(١).

أرشد النبي محمد ﷺ أمته إلى اعتزال النساء في المحيض حفاظًا على الصحة الإنسانية واهتمامًا بالطهارة.

علّمنا النبي ﷺ أصلا عظيما من أصول الصحة والنظافة يجب علينا أن نأخذه ونعمل بموجبه، لو أخذها البشر وسار عليها لطابت حياته وسعد عيشه وتمتع بالصحة والسلامة والرخاء والهناء..

لا ترى في تاريخ الإنسانية جمعاء من قدّم الأصول الواضحة والمبادئ السامية الجامعة الشاملة النافعة مثل الذي قدّم النبي محمد ﷺ لأمته في باب الطهارة والنظافة. فإنه يحتاج شيئًا يحتاج إليه الإنسان في حياته في مجال النظافة إلا بينه أحسن بيان وفصّله تفصيلا.

فعليه أيمن البركات وأزكى الصلوات ما دامت السماوات والأرض.

---

(١) سنن أبي داود، حديث صحيح.

ماء البحر:

إن رجلًا سأل النبي ﷺ عن ماء البحر أهو طهور؟ فقال: الطهور ماؤه والحلّ ميتته، كما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في البحر هو الطهور ماؤه والحلّ ميتته(١).

أرشد النبي محمد ﷺ أصحابه رضي الله عنهم إلى أن ماء البحر طهور لا بأس باستعمال مائه تطهرًا، كما أرشدهم إلى أن ما فيه من الميتات من السمك ونحوه مما لا يعيش إلا فيه وإن مات حلال.

كيف يتطهر الجنب:

لا يخفى على دارس السيرة النبوية العطرة أن النبي ﷺ نهى الجنب عن الاغتسال في الماء الدائم الذي لا يجري كان الماء قليلا أو كثيرًا، بل أرشده إلى أنه يتناوله تناولًا ولا ينغمس فيه كما تنغمس البهائم والسباع لئلا يصير الماء نجسًا كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال: كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال: يتناوله تناولًا(٢).

الماء طهور لا ينجسّه شيء:

إن دارس السيرة النبوية الشريفة يعرف جيدًا أن الرسول ﷺ علّم أتباعه رضي الله عنهم أن الماء إذا بلغ القلتين – أي يساوي مائتين وسبعة وعشرين كيلو غرامًا في الحساب الجديد المعاصر- لا ينجس بمجرد وقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة – الطعم واللون والريح-.

ما ترك رسول الله ﷺ شيئًا يحتاج إليه الإنسان في حياته وفصّله تفصيلا.

من إرشاداته ﷺ السامية في بول الصبي إذا بال في الحجر:

إن دارس السيرة النبوية الشريفة يعرف أن الرسول محمدًا ﷺ علّم أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم طريقة طهارة بول الصبي إذا أصاب الثوب أو البدن، فبيّن ﷺ أن الصبي إذا بال الحجر أو الثوب

(١) سنن أبي داود، والنسائي، والترمذي، وصححه الألباني.

(٢) صحيح مسلم: ٢٨٣.

يكفي فيه النضح كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبول عليهم ويحنكهم، فأتي بصبي فبال عليه فدعا بماء فأتبعه بوله ولم يغسله(١).

فأرشدنا المعلم الأول النبي محمد ﷺ أن ننضح الماء على الثوب إذا بال فيه الصبي ونغسله إن كانت الجارية.

معاشرة الحائض:

كانت اليهود إذا حاضت المرأة لا تعاشر الحائض ولا تجالسها ولا تؤاكلها ولا تصاحبها ما دامت حائضة، فردّ النبي محمد ﷺ عليهم هذا الصنيع الشنيع ردًا بالغًا قائلًا: افعلوا كل شيء إلا النكاح، وأباح مباشرتها فوق الإزار والمؤاكلة معها والمجالسة والمصاحبة لأمته والاضطجاع معها في لحاف واحد والاتكاء في حجرها.

وحذّر أمته من ملامسة الحائض نظرًا إلى أن جماع الحائض انغماس في النجاسة تأباه العقول السليمة وتتقذره النفوس الطاهرة النظيفة، ولأن ذلك يجلب المضار المستطيرة والمفاسد العظيمة الناتجة المتولدة في أبدان المجامعين.

(يتبع)

***

(١) صحيح مسلم: ٢٨٦.

أيام واعتقادات

شهر صفر

أحمد بن عباد الله خان
طالب بكلية الدعوة في الجامعة السلفية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فإن في خلق السماوات والأرض اختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، وما جعل الله من خلق الشهور والأيام إلا عبرة وتذكرة لمن أراد أن يذكر ويتعظ بمرورها وانقضاءها، وأن يقبل على الله عز وجل وينيب إليه، ويتقرب إليه بفعل الطاعات واجتناب السيئات والمنكرات وأن يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما فيها من الهداية والحق المطابقين للعقل والحكمة والفطرة السليمة.

والشهور والأزمان لا فضل لبعضها على بعض إلا بما جاء ذكر فضله في كتاب وسنة رسوله عليه الصلاة السلام ويجب أن يعلم أنه لا شأن للأزمان والأيام في أقدار الله وقضائه ولا في الأحداث الكونية إذ إنها ليست سوى مخلوقات خلقها الله عز وجل للإنسان وغيره من المخلوقات لحكمة بالغة وغاية عظمية قد بينها في كتابه في مواضع عديدة، وأهمها إظهار قدرة الله عز وجل وعظمته سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩].

شهر صفر هو الشهر الثاني من شهور السنة الهجرية، وهو مثل غيره من الشهور

العادية، و لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في تفضيله أو ذمّه ولم يكن النبي يخص شهر صفر بعبادات أو اعمال خاصة

ولكن نجد كثيرا من الناس عندهم اعتقادات باطلة عن شهر صفر؛ فهم يعتقدون أن شهر صفر شهر نحس وشؤم، ويتطيرون به، ويعتقدون أن له تأثيرًا في الأقدار، وأصل هذه الاعتقادات يعود إلى مشركي العرب .

فقد كان مشركو العرب في الجاهلية قبل الإسلام يتخبطون في اعتقادات وضلالات وأعمال تخالف العقل وتتعجب منها النفس المستقيمة فقد كانوا يتطيرون ويتشاءمون بالأيام أو الزمن أو الشهور اعتقادا بأن لها تأثيرًا في الأحداث الكونية وأنها فاعلة في أقدار الناس وأعمالهم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة» (رواه البخاري: ٥٧٥٧ ومسلم: ٢٢٢٠).

وفيما يلي نذكر بعض اعتقادات مشركي العرب قبل الإسلام حول شهر صفر وما كانوا يعتقدونه فيه. وقبل أن نذكر ذلك لا بد من ذكر تعريفات ليسهل فهم هذه الاعتقادات الباطلة.

تعريف التطير:

في اللغة: مصدر تطير، وأصله مأخوذ من الطير؛ لأن العرب كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير، ثم ينظر: هل يذهب يمينًا أو شمالاً أو ما أشبه ذلك، فإن ذهب إلى الجهة التي فيها التيامن؛ أقدم، أو فيها التشاؤم؛ أحجم.

أما في الاصطلاح؛ فهو التشاؤم بمرئي أو مسموع، وإن شئت؛ فقل: التطير: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

بمرئي مثل: لو رأى طيرا فتشاءم لكونه موحشا.

أو مسموع مثل: من هَم بأمر فسمع أحدًا يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب؛ فيتشاءم.

أو معلوم؛ كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات؛ فهذه لا ترى ولا تسمع . [القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – ص: ٥٥٩]

وصفر: الشهر الذي بعد المحرم وقال بعضهم: إنما سمي صفرا لانهم كانوا يمتارون الطعام فيه من المواضع، وقال بعضهم: سمي بذلك لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا، وروي من عن رؤبة أنه قال: سموا الشهر صفرا لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرا من المتاع وذلك ان صفرا بعد المحرم فقالوا: صفر الناس منا صفرا [لسان العرب لابن منظور ٤/ ٤٦٢ – ٤٦٣]

قوله عليه الصلاة والسلام (ولا صفر) المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه». [تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله ص: ٧٦٧]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

قال الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية: وكانت العرب تحرم القتال في الأشهر الحرم المذكورة، فإذا احتاجوا إلى القتال فيها قاتلوا فيها وحرموا غيرها، فإذا قاتلوا في المحرم حرموا بدله شهر صفر، وهكذا في غيره، وكان الذي يحملهم على هذا أن كثيرا منهم إنما كانوا يعيشون بالغارة على بعضهم البعض، ونهب ما يمكنهم نهبه من أموال من يغيرون عليه، ويقع بينهم بسبب ذلك القتال، وكانت الأشهر الثلاثة المسرودة يضر بهم تواليها وتشتد حاجتهم وتعظم فاقتهم، فيحلّون بعضها ويحرمون مكانه بقدره من غير الأشهر الحرم، فهذا هو معنى النسيء الذي كانوا يفعلونه(فتح القدير: ٢/ ٥١٣). وقد أنكر الله عز وجل عليهم وقال بأنه كفر بل زيادة في الكفر .

ويقال: «إن أهل الجاهلية كانوا يستشاءمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك».

ولما أبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؛ فلا يجوز التشاؤم بأيام صفر ولا لياليه؛ كالامتناع من الزواج في هذا الشهر أو الامتناع من السفر والعمل ومزاولة الأمور المعتادة فيه، وكذلك لا يجوز تخصيصه بإقامة الحفلات وتوزيع الأطعمة بعد انقضائه؛ فهذا كله داخل في التشاؤم والابتداع.

فالتطير والتشاؤم من الشرك الذي ينافي حقيقة التوحيد وكماله؛ ففي الحديث: الطَّيَرَةُ شِرْكٌ، الطَّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلَاثًا) .رواه أبو داود (٣٩١٠)، و ابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني.

لأن المتطير يعتقد أنَّ المتطير به يجلب له نفعا أو يدفع عنه ضرا، وهذا شرك.

فمن تطير بشيء رآه أو سَمِعَه؛ «فَإِنَّه لا يُعَدُّ مشركًا شِرْكًا يُخرجه من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يَجْعَلْه الله سببًا، وهذا يُضْعف التوكل على الله ويُوهِن العزيمة، وبذلك يعتبر شركا من هذه الناحية.

والقاعدة: «من اعتمد على سَبَبٍ لم يجعله الشرع سَبَبًا؛ فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ شِرْكًا أصغر».

هذا نوع من الإشراك مع الله، إما في التشريع إن كان هذا السَّبَبُ شرعيًا، وإما في التقدير إن كان هذا السَّبَبُ كونيا.

لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أنَّ هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مُشْرِكٌ شِرْكًا أكبر؛ لأنَّه جعل مع الله شريكا في الخلق والإيجاد

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله:

وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان، كشهر صفر أو غيره؛ فغير صحيح، وإنَّما الزمان كلَّه خَلْقُ الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم.

فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو شؤم عليه؛ فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى .

فلا شوم إلا المعاصي والذنوب؛ فإنها

تُسخِط الله عز وجل، فإذا سَخِطَ على عبده شقي في الدنيا والآخرة، كما أنه إذا رضي عن عبدِه سَعِدَ في الدنيا والآخرة»[لطائف المعارف (ص ٧٥)، باختصار].

فينبغي للعبد المؤمن العاقل أن يحذر من هذه الاعتقادات المنحرفة المنافية للتوحيد وأن يسأل الله الثبات على الحق والصراط المستقيم؛ فهو الولي على لذلك والقادر عليه...

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

أيام وخصائص

خصائص يوم الجمعة

أ. د. سعد بن تركي الخثلان

الحمد لله الذي جعل يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وجعل فيه ساعة الدعاء فيها مجاب مسموع، وخصّه بخصائص ليعرف الناس قدره؛ فيقوموا به على الوجه المشروع، أحمده تعالى وأشكره حمدًا وشكرًا كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وأحمده وأشكره حمدًا وشكرًا عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

هداية هذه الأمة ليوم الجمعة:

فإن من أعظم نعم الله تعالى علينا: أن جعلنا من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، فأمتنا هذه هي خير الأمم، وأكرمها على الله تعالى، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد من الأمم إلا ودّ أنه منا أيتها الأمة، وما من نبي كذّبه قومه إلا نحن شهداء عليه يوم القيامة أنه قد بلّغ رسالة الله، ونصح لهم»(١).

وإن مما ادّخره الله تعالى لهذه الأمة من الفضائل: يوم الجمعة، فقد أضلّ الله عنه اليهود والنصارى، وهدى إليه هذه الأمة، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أضل الله عن الجمعة من

(١) أخرجه الديلمي في السنن: ٢٣١، ينظر: كنز العمال: ١٢/ ١٧٧، وقد عزاه السيوطي في جمع الجوامع: ٣/ ١٣٧ إليه وحده.

كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق»(١).

خصائص يوم الجمعة:

١. خير يوم طلعت فيه الشمس:

وقد خصّ الله تعالى هذا اليوم بخصائص عظيمة؛ منها: ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت فيه شمس يوم الجمعة؛ فيه خلق الله آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»(٢).

٢. تقام فيه صلاة الجمعة:

ومن خصائص يوم الجمعة: أنه تقام فيه صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفضله سوى مجمع عرفة؛ ولذا كان من ترك ثلاث جمع من غير عذر طبع الله على قلبه، فقد أخرج الإمام أحمد وأصحابه السنن، بسند صحيح، عن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه»(٣)، وفي رواية لابن خزيمة، وابن حبان: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر فهو منافق»(٤).

٣. فيه الخطبة التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده:

ومن خصائص يوم الجمعة: أن فيه الخطبة التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، وتذكير العباد بأيام الله، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقرّبهم إليه؛ ولذا أمر الله بالسعي إليها فقال:

(١) صحيح مسلم: ٨٥٦.
(٢) صحيح مسلم: ٨٥٤.
(٣) سنن أبي داود: ١٠٥٢، ومسند الإمام أحمد: ١٥٤٩٨.
(٤) صحيح ابن خزيمة: ١٠٥٨، وصحيح ابن حبان: ٢٥٨.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، وذكر الله المأمور بالسعي إليه هو: الخطبة والصلاة.

فينبغي للمسلم أن يهتمّ بالسعي إلى استماع خطبة الجمعة، وإقامة صلاة الجمعة مع الإمام، وأن يتفرّغ في ذلك الوقت عن مشاغل الدنيا التي لا تنقضي.

وينبغي أن يحرص المسلم على تطبيق السنن الواردة عن النبي ﷺ في ذلك؛ حتى يحصل على الثواب العظيم، والأجر الجزيل، الذي وعد به الصادق المصدوق رسول الله ﷺ.

ومن ذلك: ما جاء في صحيح البخاري عن سلمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهّر ما استطاع من طهر، ويدّهن من دهنه، أو يمسّ من طيب بيته، ثم يخرج، فلا يفرّق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثمّ ينصت إذا تكلّم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»(١).

٤. أمور تغفر الذنوب والخطايا يوم الجمعة:

يا له من فضل عظيم، من فعل هذه الأمور المذكورة، وهي يسيرة على من يسّرها الله عليه، فإنه موعود بأن تغفر له ذنوبه وخطاياه.

الأمر الأول: الاغتسال يوم الجمعة، وهو سنة مؤكدة، وقد قال بعض أهل العلم بوجوبه، فينبغي للمسلم ألا يدع الاغتسال للجمعة ولو أن يفيض على جسده الماء، لا سيّما في زماننا هذا الذي تيسّرت فيه المياه للناس أكثر من أي وقت مضى، ومع ذلك نجد كثيرًا من الناس يتساهل في هذه السنة المؤكدة.

الأمر الثاني: ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ويدّهن من دهنه، أو يمسّ من طيب بيته»، وجاء في رواية لمسلم: «ولو من طيب المرأة»(٢)، أي ولو من طيب

(١) صحيح البخاري: ٨٨٣.
(٢) صحيح مسلم: ٨٤٦.

زوجته، وهذا يدلّ على تأكد هذه السنية؛ فينبغي للمسلم ألا يدعها، ينبغي له حين يخرج إلى الجمعة أن يدّهن أو يتطيّب، كما ينبغي له أن يأخذ زينته، فيلبس أحسن ثيابه، ويتزيّن بأفضل ما يجد من الزينة؛ لأن الله تعالى أحق من تزيّن له: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] أي: عند كل صلاة، وإذا كان يستحب أخذ الزينة عند كل صلاة، فإنّ أخذ الزينة يتأكد لصلاة الجمعة.

الأمر الثالث: ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين»، وجاء في رواية أخرى: «ثم لم يتخطّ رقاب الناس»(١)، وفي رواية: «ولم يتخطّ أحدًا ولم يؤذه»(٢)؛ فينبغي للمسلم إذا دخل المسجد الجامع ألا يتخطى الرقاب، ولا يؤذي إخوانه الجالسين لاستماع الخطبة؛ فإن تخطيه للرقاب ينقص من أجره.

الأمر الرابع: ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ثم يصلي ما كتب له»، ولم يحدّد ذلك بحد معين، فلم يقل: ثم يصلي ركعتين، أو أربعًا أو ستًا، إنما قال: «ما كتب له»، ومن هنا ذكر أهل العلم: أن صلاة النافلة قبل صلاة الجمعة ليس لها حدّ محدود، فللمسلم إذا دخل المسجد الجامع قبل دخول الخطيب أن يصلي ما شاء، إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء صلى أربعا، وإن شاء صلى ستا، وإن شاء صلى أكثر من ذلك، مثنى مثنى، ركعتين ركعتين، يصلي على حسب نشاطه وهمته.

وقد كان بعض السلف الصالح يشتغل بالصلاة من حين دخوله المسجد الجامع إلى قبيل دخول الخطيب، وبعضهم يشتغل بتلاوة القرآن، وبعضهم بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، والأفضل أن يشتغل بالصلاة؛ لأنها أحبّ عمل إلى الله عز وجل، مع ملاحظة التوقف عن الصلاة وقت النهي الذي يسبق الزوال حين يقوم

(١) سنن أبي داود: ٣٤٨.
(٢) مسند الإمام أحمد: ٢١٧٢٩.

قائم الظهيرة، وهو قبيل دخول الخطيب إذا كان يدخل على الزوال، أي: قبيل الزوال بنحو عشر دقائق، ينبغي أن يتوقف عن صلاة النافلة؛ لأنه حينئذ وقت نهي.

الأمر الخامس: ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «ثم ينصت إذا تكلّم الإمام»، فينبغي إذا شرع الخطيب في الخطبة أن ينصت لاستماع الخطبة، بل يجب عليه ذلك، وأن يقبل عليها بقلبه وقالبه، ويصغي لها حتى يستفيد منها، فإن الله عز وجل أخبر بأن الذكرى تنفع المؤمنين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وبعض الناس يستفيد من خطب الجمعة فوائد عظيمة عندما يصغي إليها، ويستمع إليها، ولهذا تجد أن ثقافته الشرعية مستواها عالٍ بسبب حسن الاستماع، والإنصات لخطب الجمعة وغيرها.

وبالمقابل يحرم على المستمع للخطبة: أن يتكلّم أثناء الخطبة، ولو كان ذلك أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر؛ لقول النبي ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب، فقد لغوت»(١)، أخرجه البخاري في صحيحه.

ومعنى اللغو: أنه يحرم من أجر وثواب يوم الجمعة؛ بسبب مخالفته وتكلّمه والإمام يخطب، فمن تكلم ولو بكلمة واحدة والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له، أي: إنه ليس له من أجر وثواب الجمعة شيء.

فمن حقّق هذه الأمور الخمسة فهو موعودٌ على لسان الصادق المصدوق ﷺ بمغفرة الذنوب.

٥. فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء ولا يردّ:

ومن خصائص يوم الجمعة: أن فيها ساعة الإجابة، التي قال عنها النبي ﷺ: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه»(٢)؛ أخرجه البخاري ومسلم، والمقصود بالساعة: أنها لحظات

(١) صحيح البخاري: ٩٣٤، وصحيح مسلم: ٨٥١.
(٢) صحيح البخاري: ٩٣٥، وصحيح مسلم: ٨٥٢.

يكون الدعاء فيها مستجابًا، وليس المقصود بالساعة الساعة التي هي يكون ستون دقيقة، وإنما لحظات يكون الدعاء فيها مجابًا.

وقد اختلف العلماء في تحديد هذه الساعة، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه: «فتح الباري» ثلاثة وأربعين قولًا في تحديد هذه الساعة، ثم خلص إلى ترجيح القول: بأنها آخر ساعة بعد العصر، أي: آخر ساعة قبيل غروب الشمس، وهذه الساعة التي قبيل غروب الشمس يعظّمها جميع أهل الملل، اليهود والنصارى وجميع الملل يعظمون هذه الساعة، وهي عند أهل الكتاب ساعة الإجابة، وهي ممّا لا غرض لهم في تبديله وتحريفه، فقد اعترف بذلك مؤمنهم، فهي أرجى ساعات الجمعة موافقة لساعة الإجابة.

فينبغي للمسلم أن يجتهد في جميع ساعات الجمعة بالدعاء والذكر والعبادة، ويتأكد ذلك في آخر ساعة منه قبيل غروب الشمس يجتهد في الدعاء، يدعو الله عز وجل مستقبلًا القبلة، رافعًا يديه، فإنّ هذا الوقت، وهذه اللحظات التي هي قبيل غروب الشمس من يوم الجمعة الدعاء فيها حري بالإجابة.

٦. استحباب التبكير في الذهاب إلى المسجد:

ومن خصائص يوم الجمعة: أنه يستحب التبكير في الذهاب إلى المسجد الجامع لصلاة الجمعة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»(١).

وبناءً على ذلك: فإن الساعة الأولى تبدأ بعد طلوع الشمس بساعة، بعد طلوع

(١) صحيح البخاري: ٨٨١، وصحيح مسلم: ٨٥٠.

الشمس بساعة تبدأ الساعة الأولى في أرجح أقوال أهل العلم.

والمقصود بالساعة ليست هي الساعة هي ستون دقيقة، وإنما يقصد النهار ما بين طلوع الشمس وغروبها على اثني عشر، فتخرج الساعة المرادة، لكنها قريبة من ستين دقيقة، فهي تتراوح ما بين خمس وخمسين دقيقة إلى خمس وستين دقيقة، فمع طول النهار تزيد على الستين دقيقة قليلا، ومع قصره تنقص عن الستين دقيقة قليلا.

وأرجح الأقوال كما اختار ذلك الحافظ ابن حجر وجماعة من أهل العلم: أن الساعة الأولى تبدأ بعد طلوع الشمس بساعة؛ لأنه قد ذكر في هذا الحديث خمس ساعات، ووقت الزوال إنما يكون عند الساعة السادسة؛ فينبغي للمسلم أن يحرص على أن يكتب له من أجر التبكير شيء، وبعض الناس محروم من ذلك، كل جمعة لا يأتي إلا بعد دخول الخطيب، فهو يحرم نفسه من هذا الأجر العظيم، ومن هذا الثواب الجزيل.

وإنما ذكر النبي ﷺ هذه القربان؛ لأن يوم الجمعة في الأسبوع هو كالعيد في العام، والعيد مشتمل على صلاة، وذبح، وقربان، ويوم الجمعة يوم صلاة، فجعل الله تعالى التعجيل فيه إلى المسجد بدلًا من القربان، وقائمًا مقامه، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان.

انظروا إلى الفرق العظيم بين أجر من يبكّر إلى الجمعة فيأتي في الساعة الأولى، وأجر من لم يأت إلا في الساعة الأخيرة: هو الفرق ما بين من يهدي البعير، ومن يهدي البيضة، أما من لا يأتي إلا بعد دخول الخطيب فإنه تطوى عنه الصحف، ولا يكتب له قربان بعد ذلك، والموفق من وفقه الله عز وجل.

وهناك أناس موفقون يأتون للمسجد الجامع في وقت مبكر، قد حدثني أحد كبار السن: أنه كان هنا في مدينة الرياض أناس يذهبون للمسجد الجامع لصلاة الفجر، ثم لا يخرجون إلا بعد صلاة الجمعة، حتى يضمنوا أجر الساعة الأولى على جميع أقوال العلماء، وهذا من توفيق

الله عز وجل لبعض عباده، والموفق من وفقه الله عز وجل.

فينبغي لك أخي المسلم أن تهتمّ بيوم الجمعة، وأن تحرص على التبكير للمسجد الجامع، وأن تأتي بالسنن الرواتب؛ فإن الأجر المرتب على ذلك عظيم، والثواب المرتب على ذلك جزيل، وبعض الناس إنما يفرط في هذه السنن بسبب السهر ليلة الجمعة، يسهرون ليلة الجمعة ثم بعد ذلك لا يقومون لصلاة الجمعة إلا متأخرين، فيفوتون على أنفسهم الإتيان بهذه السنن المذكورة، ويحرمون أنفسهم أجورًا عظيمة.

ينبغي الاهتمام بيوم الجمعة، وبصلاة الجمعة، والحرص على الإتيان بهذه السنن حتى يحوز المسلم على الأجور العظيمة المرتبة عليها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

ذنوب وآثام

عقوق الوالدين

أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

إنّ برّ الوالدين يأتي في صدارة الأخلاق ومقدمها؛ لأنهما أحق الناس بالأدب وبحسن المعاملة، وكريم الأخلاق والآداب، وعليه فإن عقوق الوالدين يعد هدمًا للقيم والآداب، واكتساءً بشر الأخلاق وأرذلها، وهو يعد في الشريعة ذنبًا كبيرًا وجرمًا عظيمًا، وعقوبته عند الله تبارك وتعالى شديدة، حذّر منه النبي ﷺ أشد التحذير في أحاديث عديدة، وعدّه ﷺ من أكبر الكبائر.

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين – وجلس وكان متكئا فقال:- ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت، متفق عليه(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور،- أو قال: - شهادة الزور»، متفق عليه(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»، رواه البخاري(٣).

وعقوق الوالدين أصله من العق: وهو الشق والقطع، وهو قطيعتهما

(١) صحيح البخاري: ٢٦٥٤، صحيح مسلم: ٨٧.
(٢) صحيح البخاري: ٥٩٧٧، صحيح مسلم: ٨٨.
(٣) صحيح البخاري: ٦٨٧٠، ٦٦٧٥.

وإيذاؤهما بأي نوع كان من أنواع الأذى قلّ أو كثر، نهيا عنه أو لم ينهيا، وفعل ما يغضبهما ويسيء إليهما؛ فهي كلمة تجمع كل معاني الإساءة، كما أن البرّ كلمة تجمع كل معاني الإحسان.

سئل الحسن البصري رحمه الله عن البرّ والعقوق، فقال: «البر أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به ما لم يأمراك بمعصية الله، والعقوق أن تهجرهما وتحرمهما»(١).

والعقوق يتفاوت كما أن البر والإحسان -أيضًا- يتفاوت، والإتيان بالبر والإحسان كله مطلوب في حدود استطاعة المرء، وهو ميدان منافسة، والعقوق مطلوب البعد عنه كله، والحذر منه كله.

والإساءة إلى الوالدين بالقول أو الفعل - وهما السبب الظاهري في وجود الإنسان-؛ يعد من أعظم أنواع الجحود ونكران الجميل، ومن أشنع الفساد في الأخلاق، ومن أعظم اللؤم في الطباع؛ لأن إحسانهما وفضلهما لا يماثله أي إحسان في هذا الوجود، ولهذا جعل النبي ﷺ عقوقهما من أعظم الكبائر.

ويكفي برهانًا على خطورة العقوق وعظم هذا الجرم؛ أن الله لما ذكر حقه ذكر تلو ذلك حق الوالدين في آي عديدة من القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فحقهما يلي حق الله، وعقوقهما يلي الشرك، وفي معناهما الأجداد والجدات.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم ثلاثًا؛ قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٢).

تقدم: أن العقوق أصله القطع، والعاق لأمه قد قطع ما لها عليه من

(١) أخرجه الحسين بن حرب في البر والصلة: ١٠.

(٢) صحيح البخاري: ٢٤٠٨، صحيح مسلم: ٥٩٣.

حقوق، وأحل محل ذلك الإساءة والإيذاء، وإنما خصت الأم بالذكر وإن كان عقوق الأب -أيضًا- حرامًا؛ لأن العقوق إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء، وللتنبيه -أيضًا- على أن برّ الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو ونحو ذلك؛ لما لها من أحقية خاصة بحسن الصحبة وطيب المعاملة.

وعن عبد الله عن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى»، رواه النسائي(١).

وهذا وعيد للعاق لوالديه بعدم دخول الجنة، وهذا من الدلائل على أن هذا الجرم من كبائر الذنوب، وأهل الكبائر لا يكفرون بذلك، ولا يخلدون في النار، إذا لم يستحلوا هذه المعاصي، بل هم تحت مشيئة الله كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «رضى الرب في رضي الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»، رواه الترمذي(٢).

لأن الله تعالى أمر أن يطاع الوالد ويكرم ويحسن إليه ويبرّ، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن أغضبه فقد أغضب الله، وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة.

وعن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخبرنا بشيء أسرّه إليك رسول الله ﷺ، فقال: ما أسرّ إلي شيئًا كتمه الناس، ولكني سمعته يقول: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيّر المنار»، رواه مسلم(٣).

لعن الوالدين- والعياذ بالله- من أشدّ العقوق وأفظعه، وأعظم اللؤم

(١) سنن النسائي: ٢٥٦٢، وصححه الألباني.

(٢) جامع الترمذي: ١٨٩٩. وصححه الألباني.

(٣) صحيح مسلم: ١٩٧٨.

وأشنعه، كيف وقد قدّما له من المعروف والإحسان والرعاية والتربية شيئًا كثيرًا لا يبلغ مجازاته، ثم يكون منه اللعن لهما.

وفي هذا الحديث وعيد شديد لمن يلعن والديه بأنه استحق بذلك اللعن من الله تبارك وتعالى، واللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله عز وجل، فمن يلعن والديه يلعنه الله تبارك وتعالى ويطرده من رحمته جل وعلا، وهذا دليل على أن هذا الأمر من كبائر الذنوب وعظائم الآثام، سواء كان لعنه لوالديه تسببًا أو ابتداءً – وهو أشنع –.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسبّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»، رواه البخاري(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «من الكبائر عند الله تعالى أن يستسبّ الرجل لوالده»، رواه البخاري في «الأدب المفرد»(٢). أي: أن يكون سببًا في سبّ والديه بأن يكون سببًا في شتم والديه على المعنى المبيّن في الحديث.

ولعن الوالدين ابتداءً يكون بمواجهتهما باللعن مباشرة، وأما التسبب فهو أن يلعن الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسبّ أمه، بمعنى أنه يجرّ اللعن إلى والديه ويتسبب فيه.

وهذا أمر يكثر عن من لا حياء عندهم ولا خوف من الله تبارك وتعالى في مجالسهم ولقاءاتهم، يتبادلون لعن الآباء والأمهات، ويجري على لسانهم اللعن أكثر من السلام والرحمة، ويكون الحظ الأوفر من تلاعنهم للآباء والأمهات، فلا يوجه الواحد منهم الشتم لمن شتمه، وإنما يوجّه الشتم لوالديه، والآخر يبادله ذلك، وهذا كله من رقة الدين، ووهاء الإيمان، وخسّه الطبع واللؤم – والعياذ بالله –.

قولهم: «وكيف يلعن الرجل والديه؟»؛

(١) صحيح البخاري: ٥٩٧٣.

(٢) الأدب المفرد: ٢٨، وحسّنه الألباني.

أي: أن هذا أمر غريب ومستبعد أن يشتم الرجل والديه، ولعلهم فهموا أن المراد بالشتم شتمهما ابتداءً، وهذا يفيد أن شتم الوالدين ابتداءً أمر مستغرب ولا وجود له، ولا يتصور أن يكون الابن بهذا المستوى وبهذه الدناءة بأن يواجه والديه باللعن والشتم، مع أنه عند انحطاط الأخلاق يوجد مثل هذا في المنحطة أخلاقهم وأكثر.

وقد بيّن النبي ﷺ أن التسبب في شتم الوالدين مثل شتمهما مباشرة، فسواء شتم والديه ابتداءً، أو شتم والديه تسببًا كل ذلك من كبائر الذنوب.

هذا وقد قال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا البذيء»، رواه الترمذي(١)، كل هذا ليس من خلق المؤمن ولا من صفاته، وإذا كان اللعن عامة ليس من صفة المؤمن، فكيف بلعن أقرب أقربائه إليه، وأكثرهم معروفًا به وإحسانًا إليه؛ أمه وأبيه؟!

ولك أن تعجب، بأن يكون الوالد في البيت فتحنو عليه أمه، وتقدّم له الطعام، وتعطيه اللباس، وتطمئن على صحته وعافيته، ثم يخرج فيلقى صديقًا أو غيره فستسبّب في لعنها، لا ريب أن هذا من دناءة الطبع وسوء الخلق.

وفي الحديث: تنبيه على خطورة جلساء السوء وخلطاء الفساد، فمن يجالسهم إما أن يعلّموه أن يلعن والديه مباشرةً، أو أن يكون على أيديهم لعن للوالدين بالتسبب، وهم من أخطر ما يكون على المرء في دينه وعقيدته وعبادته وأدبه، فهم كما قال ﷺ: كـ«نافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة»(٢).

وإذا كان هذا شأنهم مع والديهم مع عظم إحسانهم، فلا خاتمة لهم مع كل صاحب مهما أحسن، ولذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «لا تصحبنّ عاقًا؛ فإنه لن يقبلك وقد عق

(١) جامع الترمذي: ١٩٧٧، وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري: ٥٥٣٤، وصحيح مسلم: ٢٦٢٨.

والديه»(١).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يسفه على والديه، فما يجب عليه؟ فأجاب: «إذا شتم الرجل أباه واعتدى عليه فإنه يجب أن يعاقب عقوبة بليغة تردعه وأمثاله عن مثل ذلك، بل وأبلغ من ذلك أنه قد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين أنه قال: من الكبائر أن يسب الرجل والديه، قالوا: وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

فإذا كان النبي ﷺ قد جعل من الكبائر أن يسب الرجل أبا غيره لئلا يسب أباه فكيف إذا سب هو أباه مباشرة؟! فهذا يستحق العقوبة التي تمنعه عن عقوق الوالدين الذي قرن الله حقهما بحقه حيث قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] فكيف بسبهما؟!(٢). اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهنّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»، رواه الترمذي(٣).

هذه موقظة في هذا الباب: قد يشتدّ أذى الولد لوالديه ويعظم عقوبة لهما؛ فليجئهما ذلك إلى الدعاء على الولد دعوة تكون مستجابة، فيكون بها هلاكه في دنياه وأخراه.

والوالد لا يمكن أن يدعو على ولده إلا في حال غضبه منه وانزعاجه الشديد من سوء معاملته، أما في حال بر ابنه به وإحسانه إليه ولطفه معه فلا يدعو عليه.

ودعوة الوالد مستجابة لا تردّ، سواء دعا له، أو دعا عليه، ولهذا جاء

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي: ٢/ ٢٠.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية: ٣/ ٤٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي: ١٩٠٥، وصححه الألباني.

في بعض ألفاظ الحديث: «ودعوة الوالد لولده»(١)، فالدعاء له: أي بخير، والدعاء عليه: أي: بضرّ، كل ذلك مستجاب لا يردّ.

فيستفاد من هذا: أن الواجب على الأبناء أن يحرصوا على كسب دعوة الوالدين لهم بالخير، وهذا فرع عن رضا الوالدين عنهم، وأن يحذروا أشدّ الحذر من دعاء والديهم عليهم بالضرّ، وهذا فرع عن عقوقهما والإساءة إليهما.

ومن عجيب القصص في هذا الباب: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلًا عابدًا، فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا ربّ، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أي رب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.

فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثّل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننّه لكم. قال: فتعرّضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه، فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى، فلمّا انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام، من أبوك؟ قال: فلان الراعي.

قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسّحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا.

وبينا صبي يرضع من أمه، فمرّ رجل راكب على دابّة فارهة، وشارة

(١) أخرجه ابن ماجه: ٣٨٦٢، وصححه الألباني.

حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها فجعل يرتضع.

قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعيه السبابة في فمه، فجعل يمصّها.

قال: ومرّوا بجارة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت. وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها.

فهناك تراجعا الحديث، فقالت: حلقى، مرّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومرّوا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت. فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها.

قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها»(١).

فهذه القصة العجيبة العظيمة التي ذكرها رسول الله ﷺ وهي من أخبار من قبلنا، فيها: أن جريجًا – وقد كان شابًا عابدًا منشغلًا بالصلاة والمحافظة عليها- لما دعت عليه أمه بتلك الدعوة استجاب الله تبارك وتعالى دعوتها، فرمته بغي من بني إسرائيل حامل من الزنا بذلك، فعذّب وهدمت صومعته، ثم نجاه الله بعد تلك العقوبة، ففيه أن دعوة الوالد على ولده مستجابة.

وفي مقابل هذا: فإن بر الوالدين سبب لإجابة دعوتها له، وسبب لإجابة دعاء البار بهما لنفسه، لا سيما في دفع البلاء وكشف الكرب.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينما ثلاثة نفر يتمشّون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت

(١) صحيح البخاري: ٣٤٣٦، وصحيح مسلم: ٢٥٥٠.

عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها، لعل الله يفرجها عنكم.

فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني.

وأنه نأى بي ذات يوم الشجر، فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر.

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء. ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها، فجاءني فقال: اتق الله، ولا تظلمني حقي قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها فقال: اتق الله، ولا تستهزئ بي فقلت: إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه، فذهب به فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي»، متفق عليه(١).

---

(١) صحيح البخاري: ٢٣٣٣، وصحيح مسلم: ٢٧٤٣.

فأحد هؤلاء الثلاثة كانت وسيلته في دعائه لتفريج هذا الكرب برّه بوالديه الشيخين الكبيرين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة»، رواه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رقى المنبر فقال: «آمين آمين آمين) قيل له يا رسول الله ما كنت تصنع هذا؟ فقال: (قال لي جبريل رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما لم يدخله الجنة. قلت آمين. ثم قال: رغم أنف عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك. فقلت: آمين)»، رواه البخاري في الأدب المفرد(٢).

وعن كعب بن عجرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احضروا المنبر» فحضرنا فلما ارتقى درجة قال: «آمين» ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: «آمين» فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: «آمين».

فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه قال: " إن جبريل عليه الصلاة والسلام عرض لي فقال: بعدا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعدا لمن ذكرت عنده فلم يصل عليك قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعدا لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت: آمين»، رواه الحاكم(٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الأولى قال: (آمين) ثم رقى الثانية فقال: (آمين) ثم رقى الثالثة

(١) صحيح مسلم: ٢٥٥١.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٦٤٦، وقال الألباني: حسن صحيح.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٧٢٥٦، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٩٩٥.

فقال: (آمين) فقالوا: يا رسول الله سمعناك تقول: (آمين) ثلاث مرات؟

قال: «لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال: شقي عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت: آمين، ثم قال شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة. فقلت: آمين. ثم قال شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك. فقلت: آمين»، رواه البخاري في الأدب المفرد(١).

من أكرمه الله وأدرك أبويه ولا سيّما وهما على كبر؛ قد وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما، ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف؛ فقد أدرك بابًا عظيمًا من أبواب الجنة حفظه المرء أو ضيّعه، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾؛ أي لا تسمعهما قولًا سيئًا، حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ «أي: لا تنفض يدك على والديك»(٢).

ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ أي: ليّنا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾؛ أي: تواضع لهما بفعلك، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾؛ أي: في كبرهما وعند وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

فمن لم يقم بحقهما من البر والإحسان والطاعة واللطف وخفض الجناح وغير

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٦٤٤، وصححه الألباني.

(٢) تفسير الطبري: ١٧/ ٤١٧.

ذلك من حقوق الوالدين – ولا سيّما في هذا السن–، بل فرّط وضيّع، أو عقّ وأساء؛ فحظّه الشقاء والحرمان والصغار والهوان، كما تقدم في الأحاديث: «شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، ورغم أنف من أدرك أبويه ولم يدخلاه الجنة».

قال القرطبي رحمه الله: «وهذا دعاء مؤكد على من قصّر في برّ أبويه، ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه: صرعه الله لأنفه فأهلكه، وهذا إنما يكون في حق من لم يقم بما يجب عليه من برّهما.

وثانيهما: أن يكون معناه: أذلّه الله؛ لأنّ من ألصق أنفه – الذي هو أشرف أعضاء الوجه– بالتراب – الذي هو موطئ الأقدام وأخس الأشياء– فقد انتهى من الذل إلى الغاية القصوى، وهذا يصلح أن يدعى به على من فرّط في متأكدات المندوبات، ويصلح لمن فرّط في الواجبات، وهو الظاهر.

وتخصيصه عند الكبر بالذكر – وإن كان برّهما واجبًا على كل حال– إنما كان ذلك لشدة حاجتهما إليه؛ ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، فيبادر الولد اغتنام فرصة برّهما؛ لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك»(١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر له في الآخرة؛ من البغي وقطيعة الرحم»، رواه الترمذي(٢).

هذا يدل على أن قطيعة الرحم والبغي لهما عقوبة معجلة ومؤجلة؛ عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة وهو أجدر الذنوب بتعجيل العقوبة لصاحبه في الدنيا مع ما يعاقبه الله سبحانه وتعالى به يوم القيامة، ويدخل الأبوان في ذلك دخولًا أوّليًا.

وعن طيسلة، أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «بكاء الوالدين

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي: ٦/ ٥١٨.
(٢) جامع الترمذي: ٢٥١١، وصححه الألباني.

من العقوق والكبائر»، رواه البخاري في الأدب المفرد(١).

والواجب على الابن أن يكون دائمًا حريصًا على إدخال السرور على والديه، وأن لا يكون مستبيًا في إبكائهما وإحزانهما وإدخال الألم على قلبيهما، بد قد مرّ قول النبي ﷺ للرجل الذي جاء من اليمن مهاجرًا: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»، فإن بكاء الوالدين من العقوق والكبائر.

قال ابن الجوزي رحمه الله في مقدمة كتابه «برّ الوالدين» متأسفًا لحال بعض الشباب في زمانه في شأن البرّ بالآباء والأمهات: «فإني رأيت شبيبة من أهل زماننا لا يلتفتون إلى برّ الوالدين، ولا يرونه لازمًا لزوم الدين، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمهات، وكأنهم لا يعتقدون طاعتهم من الواجبات، ويقطعون الأرحام التي أمر الله سبحانه بوصلها في الذكر، ونهى عن قطعها بأبلغ الزجر، وربما قابلوها بالهجر والجهر.

وقد أعرضوا عن مواساة الفقراء ممّا يرزقون، وكأنهم لا يصدّقون بثواب ما يتصدقون، قد التفتوا بالكلية عن فعل المعروف، كأنه في الشرع، والعقل ليس بمعروف. وكل هذه الأشياء تحثّ عليها المعقولات، وتبالغ في ذكر ثوابها وعقابها المنقولات»(٢).

وهذا الذي يألم لوجوده في زمانه موجود في كل الأزمنة، لكن بالمناصحة وملاطفة هؤلاء الشباب وتذكيرهم بهذه النصوص العظيمة والآثار المترتبة على ذلك وكثرة الدعاء لهم بالصلاح؛ يصلح منهم من أراد الله صلاحه.

***

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٣١، وصححه الألباني.

(٢) برّ الوالدين، لابن الجوزي: ١٠.

الشعر العربي

الحنين إلى الوطن في الشعر العربي: نظرة خاطفة

د. محمود حافظ عبد الرب مرزا
قسم اللغة العربية والفارسية، جامعة الله آباد

لا مراء في أن الوطن هو أحب بقاع الأرض إلى قلب الإنسان، وأوثقها صلة بوجدانه، ففيه أبصر النور لأول مرة، وعلى أرضه ترعرع، ومن خيراته ارتوى، وبين جنباته تشكلت ملامح شخصيته، وارتبط بأهله وأحبابه، واختزن أجمل ذكرياته. فالوطن ليس مجرد رقعة جغرافية تحدها الحدود، وإنما هو عالم زاخر بالذكريات الجميلة، ومستودع للمشاعر الصادقة والعواطف الجياشة، وجزء لا يتجزأ من هوية الإنسان وتكوينه النفسي والوجداني. ومن ثم تظل صور الطفولة، وأصداء الأيام الخوالي، وعبق التراب، وأزقة الحارات، ومواطن اللهو والبراءة، راسخة في الذاكرة، لا تمحوها السنون، ولا تبددها المسافات. ولذلك يظل الإنسان، وإن طوحت به صروف الزمان إلى أقاصي الأرض ومغاربها، يحمل وطنه في قلبه، ويستحضره في مخيلته كلما هب نسيم الذكريات، أو لاح طيف الماضي، أو داعبت سمعه نغمة تذكره بوطنه.

وعلى الرغم من أن الهجرة هي سنة من سنن الحياة، فإنها تظل من أشق التجارب الإنسانية وأقساها؛ إذ لا تقتصر آثارها على مفارقة المكان، بل تمتد إلى أعماق النفس، فتخلف فيها شعوراً عميقاً بالغربة، حتى وإن أحاطت بالإنسان أسباب الراحة وتهيأت له سبل التفوق والنجاح. فقد يحقق الإنسان ما يصبو إليه من مكانة ورخاء وسعادة بعيداً عن وطنه، غير أن وصف "المهاجر" يظل ملازماً له، كما يبقى الحنين إلى الوطن كامناً في وجدانه

لا يطفئه تعاقب السنين، ولا تنسيه مشاغل الحياة. ففي الديار الغريبة، قد يجد المرء أصحاباً وأصدقاء كثراً، ولكنه قلما يجد دفء الأهل أو عبق الأرض الأولى، أو ذلك الإحساس العميق بالانتماء الذي لا تهبه إلا أرض الوطن، وقد أحسن أبو تمام تصوير هذا المعنى حين قال(١):

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفــه الفتى
وحنينه أبداً لأول منـــزل

ومن المسلمات أن الحنين إلى الوطن غدا أحد أبرز الموضوعات التي شغلت الشعر العربي منذ العصور السالفة. فقد ارتبطت حياة العربي في العصر الجاهلي بالتنقل من مكان إلى آخر بصورة دائمة، وارتياد الفيافي من حين لآخر، فكان من البديهي أن تنعكس هذه الحياة في أبياته الشعرية، وأن تتخذ الذكريات الخالدة والديار البائدة موضعاً بارزاً في قصائده.

ومن ثم نشأت ظاهرة الوقوف على الأطلال، التي باتت سمة فنية بارزة في القصيدة العربية القديمة؛ إذ يقف الشاعر على آثار الديار الخاوية ليستعيد ذكريات الماضي، ويستحضر الأصدقاء والأحبة، ويذرف الدموع على ما مضى من أيام الصفاء، فتغدو الأطلال رمزاً للوطن الغائب، وتجسيداً لمعاني الفراق والحنين والاغتراب.

ومن هذا المنطلق، ارتبط الوقوف على الأطلال في الوجدان العربي بمشاعر الشوق إلى الديار واستذكار الأصدقاء والأحبة، واستحضار الماضي الجميل، حتى غدا هذا النمط الشعري من أبرز مظاهر التعبير عن حب الوطن والانتماء إليه. وكلما ذكر الوقوف على الأطلال في الأدب العربي، تبادر إلى الأذهان مطلع معلقة امرئ القيس؛ إذ يقول(٢):

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسِقطِ اللوى بين الدخول فحوملِ

(١)زيات، احمد حسن، تاريخ الادب العربي: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٩٠.

(٢)الدكتور ضيف، شوقي، العصر الجاهلي: دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م، ص ٢٤٩.

يُعد هذا المطلع من أشهر مطالع الشعر العربي على الإطلاق، وقد عده النقاد القدامى فاتحة لنهج فني جديد؛ إذ ذهبوا إلى أن امرأ القيس كان أول من دعا أصحابه إلى الوقوف على الأطلال، والبكاء على الديار، واتخاذ ذكرى الأصدقاء والأحبة والديار والوطن مدخلاً للقصيدة. بيد أن شعر امرئ القيس نفسه يلفت الأنظار إلى أن هذه الظاهرة لم تكن وليدة عصره، وإنما كانت معروفة قبله أيضاً، إذ يقول(١):

عوجا على الطلل القديم لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابنُ حِذامِ

ويكشف هذا البيت أن ظاهرة الوقوف على الأطلال ضاربة بجذورها في القدم، وأنها سبقت امرأ القيس، قبل أن يتخذها مطلعاً لقصائده. بيد أن الفضل يعود إليه في ترسيخ هذا النمط الفني، وصياغته في قالب شعري متكامل، حتى غدا جزءاً أصيلاً من بنية القصيدة العربية، وأحد أبرز مظاهر التعبير عن الحنين إلى الوطن والوفاء للماضي.

ولقد استمرت هذه الظاهرة في التطور عبر العصور والأزمنة، فلم تعد الأطلال مجرد رمز للديار الخالية، وإنما غدت تعبيراً عن تجربة إنسانية عميقة، تتجسد فيها معاني الاغتراب، والهجرة، والحنين إلى الوطن. وقد ازدادت هذه المعاني حضوراً واتساعاً في الشعر العربي عبر العصور اللاحقة، ولا سيما في شعر المهجر، حيث بلغ الإحساس بالغربة والحنين إلى الوطن ذروته، وأصبح أحد أهم الركائز الفنية والفكرية في التجربة الشعورية العربية.

حب الوطن في الشعر الجاهلي وتطور ظاهرة الوقوف على الأطلال:

لم يقتصر حضور الوطن في الشعر العربي الجاهلي على كونه موطناً للإقامة أو مسرحاً للذكريات الماضية، بل غدا عنصراً فنياً أصيلاً تتجلى من خلاله مشاعر الحنين والوفاء، وأحاسيس الفقد وآلام الفراق، ولما كانت حياة العربي في العصر الجاهلي

(١)الزيات، احمد حسن، تاريخ الادب العربي: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ ، ص٢٨.

قائمة على الارتحال والتنقل من مكان إلى آخر، فقد أصبح الوقوف على الديار المهجورة واستحضار ذكريات الماضي تقليداً شعرياً راسخاً، يفتتح به الشعراء قصائدهم، ويستهلون به حديثهم عن الحياة والإنسان.وكان الشاعر، كلما مر بديار خالية، يقف أمام أطلالها متأملاً، ويسعى إلى استعادة صورة الأصدقاء والأحبة، واستحضار أيام الصبا، واسترجاع ما انقضى من لحظات السعادة والفرح، ثم تنطلق قريحته بالشعر، فتتحول الأطلال إلى رمز خالد للوطن المفقود، وتغدو الدموع لغة تعبر عن الحنين والوفاء للماضي. ومن هذا المنطلق، غدت ظاهرة الوقوف على الأطلال من أبرز السمات الفنية التي ارتبطت بالشعر العربي القديم، وأصدق الوسائل التي عبر بها الشعراء عن ارتباطهم الوثيق بأوطانهم وديارهم.

وما لبثت هذه الظاهرة أن ترسخت في بنية القصيدة العربية، حتى أصبحت عنصراً مهماً من عناصرها الفنية، ومن أبرز الشواهد على ذلك مطلع معلقة النابغة الذبياني؛ إذ يقف على أطلال ديار محبوبته، متأملاً ما آل إليه المكان بعد رحيل أهله فيقول(١):

يا دارَ مَيَّـةَ بالعليـــاءِ فالسّـــــنَدِ
أقوتْ وطالَ عليها سالـفُ الأبدِ
وقفــتُ فيها أُصيــلًا كي أُسائلَــها
عَيَّتْ جوابًا وما بالرَّبعِ مـن أحدِ
أضحتْ خلاءً وأضحى أهلُها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

وتنبعث من هذه الأبيات مشاعر الحزن العميق؛ إذ يصور الشاعر الديار وقد خلت من العمران، وهجرها سكانها، فلم يبق فيها سوى آثار الزمن وتقلبات الأيام والدهور. ويقف الشاعر مخاطباً تلك الديار وكأنها كائن حي، يرجو منها جواباً مقنعا أو حتى ما يخفف من وطأة حزنه وألمه، بيد أن الصمت المطبق لا يزيده إلا شعوراً بالوحشة والحزن، لأن أهلها قد رحلوا، ولم يبق من الماضي إلا الأطلال

(١)الزوزني، القاضي، شرح المعلقات العشر: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٩٢-٢٩٣.

التي عبثت بها الرياح والأمطار.

وهكذا، نجد أن الأطلال أصبحت في الشعر الجاهلي أكثر من مجرد بقايا مساكن مهدمة، فقد غدت رمزاً لذكريات الإنسان الجميلة، ووعاء لماضيه العريق، وتجسيداً لروابطه العميقة بأهله وديارِه. ولم يعد الوقوف عليها مجرد تقليد فني، بل تحول إلى تجربة وجدانية تعكس بصدق الانتماء إلى الديار والحنين إليها. ومن ثم أخذ هذا المعنى يتطور تدريجياً عبر العصور اللاحقة، ليكتسب أبعاداً جديدة تجاوزت مجرد استحضار الماضي، وأصبح تعبيراً عن مرارة الغربة، وقسوة الهجرة، وآلام الفراق؛ إذ لم يعد الشاعر يبكي الديار لأنها خلت من سكانها فحسب، وإنما لأنه أصبح بعيداً عنها أيضاً، عاجزاً عن العودة إليها، يحملها في ذاكرته أينما حل وارتحل.

ويجدر بالذكر أن حب الوطن ظل حاضراً في الشعر العربي على مر الأيام والعصور، فتارة تثيره مشاهد الأطلال، وتارة توقظه أصوات الطيور، أو هبوب النسائم العطرة، أو عبير الأزهار، أو ذكرى الأصدقاء والأحبة، وكلها رموز تستحضر الوطن في وجدان الشاعر، وتبعث في نفسه الشوق إلى الأرض التي نشأ وترعرع فيها.

فالمرء لا يفارق وطنه إلا ويترك فيه جزءاً من روحه، فتظل ذكرياته معلقة بأرضه أينما حل وارتحل. وما يفتأ يستعيد في مخيلته أيام الطفولة، ومجالس الأهل، ورفقة الصبا، ومواطن الأنس التي احتضنت أجمل لحظات عمره، حتى ليخاطب نسيم الصباح وكأنه رسول يحمل أشواقه إلى الديار التي غادرها، ويسأله عن تلك الأيام الخوالي، وهل لا يزال الوطن يحتفظ بذكراه، أم طواها النسيان؟ ويتمنى أن يطمئن قلبه إلى كل ركن من أركانه، وكل موضع وطئته قدماه، وكل أثر تركه وراءه، إذ يشعر أن للمكان ذاكرة لا تنسى وأن الديار ما برحت تحتفظ بعبق خطاه، وكأنها تبادله الحنين كما يبادلها الشوق.

وانطلاقاً من ذلك، ظلّ الحنين إلى الوطن يحتل مكانة بارزة في الشعر العربي عبر مختلف العصور؛ لأنه يجسد تجربة إنسانية عميقة وخالدة تتجاوز حدود

الزمان والمكان، وتلامس وجدان كل من فارق وطنه الحبيب، أو ذاق مرارة الغربة أو اضطر إلى الهجرة تحت وطأة الظروف وتقلبات الحياة.

حب الوطن في الشعر العربي الحديث وأدب المهجر:

ظل الحنين إلى الوطن حاضراً في الشعر العربي على امتداد عصوره، غير أنه اكتسب في العصر الحديث أبعاداً أعمق ودلالات أوسع، لارتباطه بتجارب النفي والهجرة والاغتراب التي عاشها عدد كثير من الشعراء والأدباء، ومن ثم لم يعد الوطن مجرد مكان تستحضره الذاكرة؛ بل تحول إلى رمز للهوية والانتماء وموئل للأمن والطمأنينة والاستقرار النفسي والروحي، حتى غدا حضوره في التجربة الشعرية ضرورة وجدانية لا يستطيع الشاعر الانفكاك عنها.

ولعل أمير الشعراء أحمد شوقي بك من أصدق الشعراء تعبيراً عن هذه المشاعر؛ إذ ذاق مرارة المنفى، فانعكست معاناته بجلاء في شعره، وغدت تجربته من أروع التجارب الشعرية في تصوير الحنين إلى الوطن وشدة التعلق به، وقد أفصح عن هذه اللوعة في قوله(١):

وطني لو شُغِلتُ بالخلد عنه
نازعتني إليه في الخلـد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني
شخصُه ساعةً ولم يخلُ حسي

وتبرز هذه الأبيات عمق ارتباط الإنسان بوطنه، وتؤكد أن الوطن ليس مجرد مكان، بل هو كيان يسكن الوجدان، فلا تغيب صورته عن الخاطر مهما باعدت بينهما المسافات، أو أغرته مباهج الحياة. فنعيم الخلد بحد ذاته لا يقوى على إخماد جذوة الحنين إليه؛ لأن حب الوطن فطرة متأصلة في النفس الإنسانية، لا تبهت مع الزمن ولا تزول بتغير الأحوال.

وقد ازدادت أهمية هذا الموضوع بشكل مبهر جداً مع نشأة أدب المهجر، في أعقاب موجات الهجرة العربية الواسعة إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية في

(١)الزيات، احمد حسن، تاريخ الادب العربي: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص٥٠٣.

أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الميلاديين، ولا سيما من بلاد الشام ولبنان. فقد حمل المهاجرون معهم لغتهم وثقافتهم وذكرياتهم الجميلة، واستطاعوا أن يحققوا نجاحات لافتة في تلك الديار، غير أن ذلك لم يخفف من تعلقهم بأوطانهم، ولا أطفأ جذوة الحنين الكامنة في نفوسهم. فظل الوطن حاضراً في أشعارهم ونثرهم، يجعلون منه محوراً رئيساً لتجاربهم الأدبية ومصدراً مهماً لإلهامهم الفني.

ولم تستطع الحياة الرغيدة في المهجر أن تمحو من نفوسهم جذوة الحنين إلى الوطن؛ إذ ظلت رائحة ترابه، وذكريات الطفولة، وصور الأهل والأحبة، ومشاهد الجبال والسهول والقرى، راسخة في وجدانهم، لا تغيب عن خواطرهم إطلاقاً، فكلما لامسهم نسيم أو مر عليهم منظر يشبه شيئاً من طبيعة أوطانهم، هاجت الأشواق الدفينة في قلوبهم، وتدفقت مشاعرهم الصادقة، وانطلقت أقلامهم السيالة معبرة عن لوعة الغربة ومرارة الفراق.

ومن أبرز شعراء المهجر الذين جسدوا هذه التجربة الإنسانية الشاعر اللبناني رشيد أيوب، الذي أثارت الثلوج في منفاه ذكريات وطنه العزيز، فاستيقظت في نفسه مشاعر الشوق والحنين، فخاطبها بقوله:(١)

يا ثلجُ قد هيَّجتَ أشجاني
وذكَّرتني أهلي بلبنانِ
بالله عني قلْ لإخواني
ما زال يرعى حرمةَ العهدِ

ولا ريب أن هذه الأبيات تنبض بعاطفة صادقة وحنين جارف، إذ تتحول الثلوج إلى رسول يحمل أشواق الشاعر إلى أهله ووطنه، ويؤكد لهم أن الغربة، على قسوتها وطول عهدها، لم تستطع أن تفت في إخلاصه لوطنه، ولا أن توهن صلته به، بل زادته تعلقاً بأرضه ووفاءً لها. من وفائه، ولم تضعف ارتباطه بوطنه.

ويتجلى هذا المعنى كذلك في شعر

(١)أيوب، رشيد، أغاني الدرويش: دار صادر، بيروت، ١٩٥٩م، ص١٢٨.

فوزي المعلوف، الذي عبر عن ارتباطه العميق بوطنه، وصور حنينه إليه تصويراً صادقاً نابضاً بالعاطفة فقال(١):

مهما يجرِ وطني عليَّ وأهلُه
فالأهلُ أهلي والبلادُ بلادي

فالوطن عنده لا يفقد مكانته في القلب مهما اشتدت قسوة الحياة أو تعاقبت عليه المحن والشدائد، لأنه ليس مجرد بقعة جغرافية أو علاقة قائمة على المنفعة والمصلحة، وإنما هو رابطة وجدانية عميقة، وجزء من هوية الإنسان وكيانه، لا تنفصم عراها مهما تباعدت المسافات او طال أمد الغربة.

ويزداد هذا الشعور رسوخاً ووضوحاً في قوله(٢):

قسمًا بأهلي لم أفـارقْ عن رضًى أهلي
وهم ذخري وركنُ عمادي
لكنْ أنفتُ من الحياةِ بموطني عبـدًا
وكنــتُ به من الأســيادِ

وتعكس هذه الأبيات بصدق الصراع النفسي الذي عاشه كثير من شعراء المهجر؛ إذ لم يغادروا أوطانهم رغبة في فراقها، وإنما دفعتهم إلى الهجرة ظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية قاهرة. ومع ذلك، ظل الوطن راسخاً في وجدانهم، وظل حبهم له ووفاؤهم له متأصلين في قلوبهم، لا تنال منهما قسوة الغربة ولا طول البعد، وإن حالت الظروف بينهم وبين العودة إلى ربوعه. فكان الحنين إليه رفيق دربهم، ومصدر إلهامهم الشعري وأحد أبرز الموضوعات التي شغلت نتاجهم الأدبي.

الوطن في شعر المهجر: بين الحنين والهوية والاغتراب:

وبلغ الحنين إلى الوطن في شعر المهجر ذروة نضجه الفني والوجداني؛ إذ لم يعد الوطن مجرد مكان غادره الشاعر، بل غدا ذاكرة حية تسكن وجدانه، وهوية راسخة يستمد منها إحساسه بالانتماء، فلا يستطيع الانفصال عنها مهما طال به المقام في ديار الغربة، ولهذا جاءت قصائد شعراء المهجر سجلاً صادقاً لمعاناة الإنسان، وهو يعيش

(١)معلوف، فوزي، ديوان فوزي معلوف: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٩.
(٢)نفس المرجع.

ممزقاً بين وطن يستوطن قلبه ووجدانه، وواقع جديد تفرضه عليه ظروف الاغتراب، فيظل مشدوداً إلى ماضيه، متطلعاً إلى اليوم الذي يعانق فيه أرض وطنه من جديد.

ويعد نسيب عريضة من أبرز الشعراء الذين جسدوا هذا المعنى تجسيداً بليغاً؛ إذ عبر عن تعلقه الراسخ بوطنه، مؤكداً أن ما قاسه من شظف العيش وقسوة الظروف، وضروب المعاناة، لم يزحزح مكانته من قلبه ولم يضعف شعوره بالانتماء إليه، بل زاده حباً وشغفاً، فقال(١):

أحبُّ بــلادي وإن لم أنَــمْ
قريرَ الجفونِ بأحضـانِها
فكم أنَّتِ النفسُ من يأسِها
وناءتْ بأثقالِ أشـجانِها
تودُّ الرجــوعَ إلى عُشّــها
وليس الرجوعُ بإمكانِها

وتتجلى في هذه الأبيات صورة نفس تتوق إلى العودة إلى ديارها، لكنها تقف عاجزة أمام قسوة الواقع. فالحنين هنا ليس مجرد أمنية عابرة، وإنما هو معاناة يومية تستبد بالشاعر، فيعيش ممزقاً بين نارين: رغبة ملحة في العودة إلى وطنه، وعجز تفرضه عليه ظروف الحياة.

ويعد إيليا أبو ماضي من أكثر شعراء المهجر تعبيراً عن الحنين إلى الوطن؛ إذ ظل وطنه حياً في وجدانه رغم استقراره في الولايات المتحدة وانخراطه في الحياة الأدبية هناك. ولم يكن الوطن عنده مجرد ذكرى، بل كان موطن الطفولة، ومهد البراءة، ومصدر الإلهام، والملاذ الذي تهفو إليه روحه كلما أثقلتها مرارة الغربة، فانطلقت كلماته، يخاطب وطنه بقلب يفيض شوقاً وحنيناً، قائلاً(٢):

وطنَ النجومِ أنا هناحدِّقْ، أتـذكرُ من أنا؟
ألمحتَ في الماضي البعيدفتىً غـريرًا أرعنَا؟
جذلانَ يمرحُ في حقولككالنسيمِ مدندنَا
أنا ذلك الولدُ الذيدنيــاه كانت هــاهنا

(١)الناعوري، عيسى إبراهيم، أدب المهجر: دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٥.

(٢)الدكتور الأشتر، عبد الكريم، إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٨م، ص ٨٤٩.

وفي موضع آخر، يرسم إيليا أبو ماضي صورة مؤثرة لصلة المهاجر بوطنه، فيعتذر إليه عن هجرة أبنائه، مؤكداً أن مغادرتهم لم تكن نابعة من جفاء، وإنما فرضته عليهم قسوة الظروف، ودفعهم إليه التطلع إلى آفاق أرحب ومستقبل واعد، فيقول(١):

لبنانُ لا تعذلْ بنيكَ إذا همُ
ركبوا إلى العلياءِ كلَّ سفينِ
لم يهجروكَ ملالةً... لكنهم
خُلقوا لصيدِ اللؤلؤِ المكنونِ
لمّا ولدتَهم نسورًا حلقوا
لا يقنعون من العلا بالدونِ

ويجسد نعمة قازان، في لمحة شعرية فريدة، الأثر العميق الذي تتركه الغربة في النفس الإنسانية، إذ يختزل مأساة الاغتراب بكل ما تحمله من لوعة الفراق، وحرقة الحنين، ووحشة البعد عن الوطن في بيت من أصدق ما قيل في هذا المعنى، إذ يقول(٢):

وكنتُ مع اللهِ في قريتي
فصرتُ بلا اللهِ في غربتي

أما رشيد سليم الخوري (القروي) فقد جعل من الفقر والظروف الاقتصادية سبباً مباشراً للهجرة، مؤكداً أن مغادرة الوطن لم تكن خياراً أملته الرغبة أو حب الابتعاد، وإنما كانت ضرورة ملحة لا مفر منها، فقال(٣):

أرومُ إلى رُبى لـبنانَ عـودًا
فيمـنعني عن العـودِ افتقـارُ
ولو خُيِّرتُ لم أهجرْ بلادي
ولكنْ ليس في العيشِ اختيارُ

وتجسد هذه الأبيات مأساة آلاف المهاجرين الذين هاجروا أوطانهم مضطرين، وظلت قلوبهم معلقة بها، غير أن ضيق العيش وقسوة الظروف حالا بينهم وبين العودة إليها، ويظل قوله: ولكن ليس في

(١)أبو ماضي، إيليا، ديوان إيليا أبو ماضي: بيروت، دار العودة، بدون تاريخ، ص ٧٢٦.

(٢)الناعوري، عيسى إبراهيم، أدب المهجر: دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٧٤.

(٣)الخوري، رشيد سليم، الشاعر القروي، الأعمال الكاملة، الشعر: طرابلس، لبنان، منشورات جروس برس، بدون تاريخ، ص ٢٥٧.

العيش اختيار، من أبلغ ما قيل في تصوير قهر الظروف، وعجز الإنسان أمام تقلبات الحياة.

وخلاصة القول أن الهجرة، على الرغم مما خلفته من ألم ومعاناة، كانت من أبرز العوامل التي أسهمت في إثراء الأدب العربي الحديث؛ إذ أمدت شعراء المهجر بتجربة إنسانية عميقة انعكست في نتاجهم الأدبي، صدقاً وجدانياً، وعمقاً فكرياً، وأفقاً إنسانياً رحباً. ولم يعد الحنين إلى الوطن في أدبهم مجرد بكاء على الماضي، أو أسى على فراق الديار، بل غدا تعبيراً عن الهوية والانتماء، وتشبثاً بالحرية والكرامة، وسعياً دائماً إلى استعادة الذات والحفاظ على جذورها في مواجهة الغربة وتحدياتها.

ومن هذا المنطلق، يحتل أدب المهجر مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي الحديث؛ لما انطوى عليه من تجديد في الرؤية الفنية وثراء في التجربة الإنسانية، إذ تجاوز الحدود التقليدية للموضوعات الشعرية، وربط الأدب بقضايا الإنسان الكبرى، وجعل من تجربة الاغتراب منطلقاً للتأمل في معاني الوطن، والهوية، والحرية، والانتماء، والمصير الإنساني. وقد استطاع شعراء المهجر أن يحولوا آلام الهجرة ولوعة الفراق إلى طاقة إبداعية خلاقة، صاغوا من خلالها أدباً صادقاً نابضاً بالمشاعر، يجمع بين عمق التجربة وسمو الرؤية. ومن ثم، لم يعد أدب المهجر مجرد سجل لمعاناة المغتربين، بل غدا شاهداً حياً على قدرة الإنسان على تحويل المحنة إلى إبداع، والألم إلى أمل، فأسهم في إثراء الأدب العربي الحديث، وأكسبه بعداً إنسانياً عالمياً، لا تزال آثاره حاضرة في الوجدان الأدبي، وماثلة في ذاكرة الثقافة العربية إلى يومنا هذا.

***

أعلام وسير

الشيخ علي حسين السلفي رحمه الله
حياته وأعماله

د. أمير الإسلام بن بحر الحق المدني
عضو هيئة التدريس بالجامعة السلفية، بنارس

(الحلقة الثالثة)

المطلب الثامن: الشيخ رحمه الله مُدَرِّسًا في الجامعة السلفية(١):

أمضى الشيخُ رحمه الله أربعَ سنواتٍ باحثًا في الجامعة السلفية، وناظرًا ومشرفًا على شؤون مكتبتها المركزية العامرة، ثم رأت الجامعة الإفادة منه في مجال التدريس، ففي سنة ١٩٨٥م بالتحديد أُسْنِد إليه تدريس كتاب «أصول الشاشي» لنظام الدين أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي المتوفى سنة (٣٤٤هـ)، وكان ذلك أولَ كتابٍ تولّى الشيخ رحمه الله تدريسه في الجامعة.

وقد أعجب الطلابَ حسنُ تدريسه، ووضوح بيانه، ووجدوا فيه العالم الراسخ والعالم المتمكن الذي يجمع بين رصانة العلم وسعة الاطلاع، وحسن التربية والتعليم، فأقبلوا على دروسه بكل شوق ورغبة، وانتفعوا بعلمه انتفاعاً كبيرًا، وأصبح الشيخ رحمه الله من أبرز أساتذة الجامعة، واستمر في التدريس بها إلى آخر حياته، إلى جانب مواصلته أعماله العلمية الأخرى في البحث والإفتاء.

وخلال هذه المدة الطويلة درَّس الشيخُ رحمه الله موادَّ كثيرةً مختلفةً مثل: أصول الفقه، والفقه، والحديث، ومصطلح

(١) ينظر: "مجلة المنار السنوية" الصادرة عن ندوة الطلبة بالجامعة السلفية لعام ٢٠١٨م، (ص/ ١٩٣) ومجلة «صدائے حق» الأردية، أكتوبر ديسمبر ٢٠٢٠م.

الحديث، والتفسير، والعقيدة، واللغة العربية.

- ومن أشهر الكتب التي قام رحمه الله بتدريسها:
- «الجامع الصحيح» للإمام البخاري.
- «السنن» للإمام أبي داود.
- «الموطأ» للإمام مالك.
- «أصول الشاشي» لنظام الدين أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي.
- «بداية المجتهد» لابن رشد.
- «فتح المغيث» للسخاوي.
- «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي.
- «تاريخ التشريع الإسلامي» لمحمد الخضري.
- «أطيب المنح في علم المصطلح» لعبد المحسن العباد وعبد الكريم مراد.

وقد شرَّفني الله تعالى أن أتتلمذ على الشيخ رحمه الله، فدرست عليه بعض هذه الكتب، منها:كتاب«أطيب المنح في علم المصطلح»؛ وذلك عندما كنت طالبًا في السنة الأولى من مرحلة العالمية بالجامعة، فوجدتُه -رحمه الله- من خيرةِ المدرسين المتمكنين من علم الحديث، واستفدتُ منه فوائدَ جليلة، ولا أزال أجد آثارها باقية في نفسي، فلله الحمدُ والمِنَّة وله مني أوفر الشكر والدعاء.

المطلب التاسع: الشيخ رحمه اللهُ مُفتيًا في الجامعة السلفية(١):

ولما تبيَّن لإدارة الجامعة السلفية ما امتاز به الشيخ -رحمه الله تعالى- من رسوخٍ في العلم، وعنايةٍ بالغة بالمطالعة والبحث، وما عُرف عنه من ملازمة مكتبة الجامعة ساعاتٍ طوالًا، منكَبًّا على أمهات الكتب، مقلبًا صفحاتها؛ أيقنت أنه أهلٌ لتحمل مسؤولية الفتوى، والقيام بأعبائها، فاختارته عضوًا في لجنة الإفتاء بالجامعة، وهي من أهم الهيئات العلمية فيها؛ لما تتولاه من بيان أحكام الشرع، والإجابة عن أسئلة المسلمين،

(١)ينظر:مجلة «صداے حق» الأردية، أكتوبر ديسمبر٢٠٢٠م.العدد الخاص عن الشيخ رحمه الله. (ص:٢٥، ٣٠، ٣٣).

والنظر في النوازل والقضايا المستجدة.

وكانت لجنة الإفتاء يومئذٍ تضم نخبةً من كبار علماء الجامعة وأعلامها، ممن عُرفوا بالرسوخ في العلم، وطول الباع في الفقه والحديث، منهم الشيخ محمد إدريس آزاد الرحماني، والشيخ العلامة صفي الرحمن المباركفوري صاحب كتاب «الرحيق المختوم»، والعلامة عابد حسن الرحماني، والشيخ العلامة رئيس أحمد الندوي، والشيخ عبد السلام المدني، رحمهم الله تعالى جميعًا.

ولا شك أن شيخنا رحمه الله أفاد من صحبة أولئك الأعلام فوائد جليلة، ومع تعاقب السنين، واستمرار عطائه العلمي صار الشيخ أحد الأعضاء البارزين في إدارة الإفتاء، ثم انتهت إليه رئاسة الإفتاء بالجامعة بعد وفاة الشيخ عبد السلام المدني، رحمهم الله تعالى جميعًا، فتحمل هذه المسؤولية الجليلة، وقام بأعبائها بعلمٍ وأمانةٍ وإخلاص. فجزاه الله أحسن الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

المطلب العاشر: أشهر تلاميذه في الجامعة السلفية(١):

أسندت الجامعة السلفية إلى شيخنا –رحمه الله تعالى– مهمة التدريس لأول مرة سنة (١٩٨٥م) كما تقدم، فنهض الشيخ بهذه الأمانة خير نهوض، وأقبل على التدريس بكل إخلاص وصدق وتفان، وبقي يؤدي رسالته العلمية دون انقطاع قرابة خمسٍ وثلاثين سنة، حتى سنة (٢٠٢٠م)، فأخذ عنه خلقٌ كثير، ونهلوا من معين علمه، واستفادوا من دروسه وتوجيهاته.

وفيما يأتي ذكر أشهر من تلقى العلم عنه، وانتفع بتوجيهاته وتربيته:

الشيخ عبد المتين المدني(بنارس).

الدكتور حشر الدين عبد الشهيد المدني.

الدكتور أمان الله محمد إسماعيل المدني.

الدكتور عبد الغني القوفي.

الدكتور منصور عالم عبد المجيد المدني،

(١) ينظر: "تاريخ أهل الحديث" ٢٠١٨-٢٠١٩م"(ص/ ٤٥١) لمرتبه: الدكتور عبد الحكيم عبد المعبود المدني و مجلة «صدائے حق»الأردية، أكتوبر، ديسمبر ٢٠٢٠م.

(المدرس بجامعة الإمام البخاري، بيهار).

الدكتور عبد الحليم بسم الله المدني، (عميد كلية الحديث بالجامعة السلفية بنارس).

الدكتور عبد الصبور المدني، (نائب شيخ الجامعة بالجامعة السلفية بنارس).

الشيخ نور الهدى السلفي، (المدرّس بالجامعة السلفية ومفتيها).

الشيخ دل محمد السلفي (المدرس بالجامعة السلفية، بنارس).

الشيخ خورشيد عالم المدني (المدرس بالجامعة السلفية، بنارس، ومدير مجلة صوت الأمة).

الدكتور شميم أحمد المدني (المدرس بالجامعة السلفية، بنارس)

الدكتور أمير الإسلام بن بحر الحق المدني، (المدرّس بالجامعة السلفية، بنارس، كاتب هذه السطور).

الدكتور عبد المعيد نوشاد المدني (المدرس بجامعة المفلحين، حيدر آباد).

الدكتور رحمت الله السلفي (بيهار).

الشيخ عبد الجبار إنعام الله السلفي، (ممبئي).

الدكتور فوزان بن مقتدى حسن الأزهري، (دلهي).

الشيخ راشد حسن المباركفوري (المدرس بالجامعة الإسلامية فيض عام).

الدكتور عبد الأحد أحسن جميل المدني(بنارس).

الشيخ ظفر نعمان المكي. (بنارس).

الشيخ عبد الغفار السلفي (بنارس).

الشيخ عبد الحكيم عبد المعبود المدني (ممبئي).

الشيخ عبد السلام شكيل المدني (المملكة العربية السعودية).

الشيخ أشفاق سجاد السلفي (نائب رئيس جامعة الإمام ابن باز الإسلامية ، جاركند).

الشيخ محفوظ الرحمن السلفي، (أمين المكتبة العامة بالجامعة السلفية).

الشيخ آصف إقبال المدني (كولكاته).

الدكتور عبيد الرحمن بن محمد حنيف المدني.

الدكتور سلمان أحمد سراج أحمد المدني.

الدكتور نسيم أحمد عبد الجليل المدني.

الشيخ خير الإسلام بن بحر الحق المدني.

الشيخ أبوطاهر السلفي وغيرهم.

وهؤلاء المذكورون غيضٌ من فيضٍ من تلامذة الشيخ، وإلّا فإنّ عددَ من تتلمذ عليه وانتفع بعلمه خلال مدّة تدريسه الطويلة يفوق الحصر، وقد تفرّقوا في أنحاء البلاد قائمين بالتدريس والدعوة والإرشاد، فكانوا من جملة آثاره العلمية الباقية، رحم الله شيخنا رحمةً واسعةً وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

***

أخبار الجامعة

من أخبار الجامعة السلفية

الأمين العام للجامعة يجتمع بأعضاء هيئة التدريس لتطوير المسيرة التعليمية والتربوية

عقد سعادة الأمين العام للجامعة السلفية، الشيخ عبد الله سعود السلفي ـ حفظه الله ـ، اجتماعاً مع أعضاء هيئة التدريس يوم الاثنين،١٣ محرم الحرام ١٤٤٨ هـ، الموافق ٢٩ يونيو ٢٠٢٦م، بعد صلاة المغرب، في مكتبه؛ لبحث تطوير العملية التعليمية والتربوية. واستهلّ اللقاء بالحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ، ثم ألقى سعادته كلمةً توجيهية حث فيها على تضافر الجهود للنهوض بالطلاب علمياً وفكرياً وأخلاقياً وتحقيق أهداف الجامعة، وناقش خلالها المحاور الرئيسة الآتية:

أولاً: الجمع بين التعليم والتربية:

وأكد سعادته أن رسالة الجامعة لا تقتصر على إكمال المقررات الدراسية، بل تشمل بناء شخصية الطالب علميًا وتربويًا وأخلاقيًا مشدّدًا على أهمية اضطلاع الأستاذ بدوره معلمًا ومربيًا وقدوة حسنة.

ثانياً: العناية بأهداف البرامج والأنشطة:

وأوضح فضيلته أن كثرة البرامج ليست هدفاً في ذاتها، وإنما العبرة بما تحققه من أهداف وفوائد حقيقية؛ ولذلك ينبغي أن تُقام البرامج بناءً على حاجة واضحة، وأهداف محددة، وفوائد علمية أو تربوية مرجوة.

ثالثاً: التخطيط المسبق للبرامج والأنشطة السنوية:

وجّه سعادته إلى إعداد خطة سنوية للأنشطة والبرامج التعليمية والتربوية والثقافية، تتضمن مواعيدها وموضوعاتها والجهات المسؤولة عنها؛ تحقيقاً لمزيد من التنظيم وحسن استثمار الوقت والجهود.

رابعاً: مراجعة الكتب والمقررات الدراسية:

وأشار فضيلته إلى أهمية مراجعة الكتب والمقررات الدراسية المعتمدة، ورصد ما فيها من أخطاء طباعية أو لغوية أو علمية، وتقديم التصحيحات اللازمة؛ تمهيداً لإصدار نسخ علمية منقحة ومصححة

معتمدة في العملية التعليمية.

وفي الختام، أعرب سعادة الأمين العام عن شكره لأعضاء هيئة التدريس، مؤكداً أن النهوض بالجامعة علمياً وتربوياً وأخلاقياً مسؤوليةٌ جماعية تتطلب تكاتف الجميع لتحقيق أهدافها المنشودة.

ونسأل الله تعالى أن يبارك في جهود الجامعة والقائمين عليها، وأن يوفقهم لكل خير، وأن ينفع بها طلاب العلم والمجتمع.

(رئيس التحرير)

انعقاد الجلسة الثالثة من برنامج إتقان لتنمية المهارات العلمية والثقافية

انعقدت الجلسة الثالثة من برنامج إتقان لتنمية المهارات العلمية والثقافية تحت عنوان: «حقائق عن حادثة كربلاء»، يوم الخميس الموافق ١٦ محرم ١٤٤٨هـ، الموافق ٢ يوليو ٢٠٢٦م، بعد صلاة العشاء، في قاعة المحاضرات، برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله زبير السلفي – حفظه الله –.

وافتتحت الجلسة في تمام الساعة التاسعة والربع بتلاوة مباركة عطرة من آيات الذكر الحكيم، تلاها الطالب/ عبد الله فيصل حميد الله (ع/١)، ثم أنشد الطالب/ امتياز أحمد أبو بكر (ع/١) أنشودة.

وكانت من أهم فقرات هذا البرنامج التعريف بكتب توضّح وتكشف الحقائق التاريخية عن حادثة كربلاء، وتدفع الشبهات، وتكشف الغموض الذي أُثير حول هذه الحادثة، وما يُثار من اعتراضات من الروافض والشيعة على أهل السنة والجماعة. وقد تم تحديد كتابين، أحدهما للمرحلة العالمية، والثاني للمرحلة الكلية.

فقدّم الطالب/ عبد الحكيم محمد أسلم (ع/١) تعريفًا بكتاب «رسومات محرم الحرام وسانحه كربلاء» للمؤلف صلاح الدين يوسف – رحمه الله –، وقد أحسن الطالب في تعريف الكتاب وتقديم خلاصة موجزة حول الموضوعات والحقائق والحوادث التي ذُكرت في هذا الكتاب.

ثم ألقى الطالب/ عتيق الرحمن فضل الرحمن (ح/٢) كلمة بعنوان: «شهادت حسين رضي الله عنه اور تاريخي حقائق»، أي: «شهادة الحسين رضي الله عنه وحقائق تاريخية عنها».

ثم قدّم الطالب/ محمد عياض وكيل أحمد (ح/ ١) تعريفًا بكتاب «واقعه كربلا اور اس كا پس منظر» للمؤلف عتيق الرحمن سنبهلي – رحمه الله –، أي: «حادثة كربلاء: الأحداث والخلفية»، وقد أجاد الطالب في تعريف هذا الكتاب، واستوعب جميع موضوعاته ومحتوياته بأسلوب جيد وموجز.

وعقب ذلك بدأت فقرة الأسئلة والأجوبة، حيث تم طرح سؤالين لكل مرحلة من المراحل: الثانوية، والعالمية، والكلية، وشهدت هذه الفقرة تفاعلًا مميزًا وتنافسًا بين الطلاب.

ثم ألقى رئيس الجلسة، فضيلة الشيخ عبد الله زبير السلفي – حفظه الله –، كلمته الرئاسية، التي حملت توجيهات وإرشادات نافعة للطلاب، واشتملت على نصائح، من أبرزها:

١- تحسين البرنامج الثقافي، وبذل مزيد من الجهود لجعله أكثر انتظامًا، ولضمان تفاعلٍ وإقبالٍ أكبر من الطلاب.

٢- التقيّد بالزي الرسمي أثناء الحضور في البرنامج الثقافي، والالتزام بآداب المجلس، والإنصات إلى المتحدثين.

٣- أوصى الطلاب بالالتزام بالحضور في مثل هذه البرامج، ولا سيما البرامج الثقافية؛ فإن في ذلك تنميةً لمهاراتهم الثقافية والعلمية.

٤- حثّ الطلاب على بذل مزيد من الجهود في مسيرتهم العلمية، والبعد عن الملهيات، وخصوصًا الهواتف؛ فإن ذلك يؤثر في حياة الطالب، ويشغله عن طلب العلم.

٥- الإكثار من قراءة الكتب ومطالعتها، وحفظ المعلومات ونصوص الكتاب والسنة؛ فإن ذلك ضروري للدعاة والعلماء، ومؤثر في قلوب الناس عند دعوتهم إلى الله جل وعلا.

ثم اختتم مقدّم الحفل بشكر رئيس الجلسة والحاضرين، وأعلن انتهاء الجلسة.

(أحمد بن عباد الله خان د/ ٢)

انعقاد الجلسة الرابعة من برنامج «إتقان» لتنمية المهارات العلمية والثقافية

انعقدت الجلسة الرابعة من برنامج «إتقان لتنمية المهارات العلمية والثقافية» تحت عنوان: «أحكام الجنائز ومسائلها»، وذلك يوم الخميس، ١صفر ١٤٤٨هـ،

الموافق ١٦ يوليو ٢٠٢٦م، بعد صلاة العشاء، في مسجد الجامعة، برئاسة فضيلة الشيخ خورشيد عالم المدني – حفظه الله –، وبحضور كريم فضيلة الشيخ أسرار أحمد الندوي – حفظه الله –.

وافتتحت الجلسة في تمام الساعة التاسعة والنصف بتلاوة عطرة مباركة من آيات الذكر الحكيم، تلاها الطالب/ شوكت عالم أشفاق (ع/ ١)، وقد اختار آيات تتناسب مع موضوع الجلسة وعنوانها. ثم أنشد الطالب/ امتياز أحمد أبو بكر، من السنة الأولى من المرحلة العالمية، أنشودة تتناسب كذلك مع موضوع الجلسة، اشتملت على التذكير بالموت والاستعداد للقاء الله تعالى.

وبعد ذلك قدّم الطالب/ عبد الحليم عبيد الله حريري (د/ ٢) مقالة بعنوان: «البدع المتعلقة بتجهيز الجنائز وتكفينها»، أوضح فيها أبرز البدع والمحدثات الشائعة بين الناس في هذه الأحكام، ومن أهم ما ذكره:

– وضع المصحف وتلاوته عند احتضار الميت.

– الأذان في أُذن الميت عند احتضاره.

– كتابة بعض الآيات القرآنية أو الأسماء على كفن الميت.

رفع الصوت بالذكر أو قراءة القرآن أثناء تشييع الميت أو نقل جنازته.

– وضع الميت في التابوت ودفنه فيه من غير حاجة شرعية.

– تجصيص القبر والبناء عليه، ونحو ذلك من المحدثات والتكلفات.

ثم أنشد الطالب/ وقاص أصغر علي (ع/ ١) أنشودة أخرى بصوت جميل ومؤثر لامس القلوب، وهي ترجمة باللغة الأردية لأنشودة «إذا ما قال لي ربي أما استحيت تعصيني، وتخفي الذنب عن خلقي وبالعصيان تأتيني» المشهورة.

التطبيق العملي لتجهيز الميت.

وكان من أبرز فقرات الجلسة تقديمُ عرضٍ تطبيقيٍّ متكاملٍ لتجهيز الميت؛ شارك فيه تسعةُ طلابٍ قدَّموا فيه تطبيقًا عمليًّا لجميع المراحل، بدءًا من لحظة الاحتضار وخروج الروح، مرورًا بكيفية التغسيل والتكفين، وصولًا إلى أداء الصلاة عليه ودفنه، مع التحري الكامل لتطبيق

الهدي النبوي الوارد في ذلك.

ورافق هذا العرضَ تعليقٌ مباشرٌ من مُقدّم الحفل؛ بَيَّن خلاله الأعمالَ الموافقةَ للسُّنّة، ونبَّه على الشائع من المخالفات والبدع المحدثة المتعلقة بهذه الأحكام.

كلمة رئيس الجلسة

وبعد انتهاءالتطبيق العملي، ألقى فضيلة رئيس الجلسة، الشيخ خورشيد عالم المدني – حفظه الله –، كلمته الرئاسية، التي تضمنت جملة من التوجيهات والنصائح النافعة، ومن أبرزها:

– حمد الله تعالى وشكره على توفيقه لإقامة هذه الجلسة، والدعاء لكل من شارك فيها وأسهم في تنظيمها بالبركة والخير والزيادة في العلم.

– التذكير بأن الموت حق على كل إنسان، وأنه كأس لا بد لكل إنسان من تجرعه، مما يستوجب الاستعداد للقاء الله تعالى.

– بيان أهمية تعلم أحكام الجنائز ومسائلها، ومعرفة حقوق الميت في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، والحذر من البدع والخرافات والمحدثات.

– التأكيد على أهمية التطبيق العملي للمسائل الفقهية؛ إذ إن بعض الأحكام لا تترسخ بالدراسة النظرية وحدها، وإنما يزداد رسوخها بالممارسة والتطبيق.

– حث الطلاب على العناية بتعلم الأحكام المتعلقة بحياة الناس اليومية، كأحكام الصلاة والطهارة والوضوء، ونشرها بين الجمهور وتطبيقها على الوجه الشرعي الصحيح.

ثم ذكر رئيس الجلسة عددًا من الأحكام الفقهية المتعلقة بالجنائز، منها:

– يُشرع لمريض مرض الموت أن يوصي بثلث ماله أو أقل.

– السُنّة أن يُكفَّن الميت الرجل في ثلاثة أثواب.

– جواز رفع اليدين مع كل تكبيرة في صلاة الجنازة.

– مشروعية التسليمة الواحدة أو التسليمتين، فكلاهما مشروع.

– جواز تطييب الميت بالطيب وغيره إلا المحرم.

– جواز الإعلان عن الوفاة ووقت دفنه عبر سماعات المسجد، ولا يُعدّ ذلك

من النعي المنهي عنه.

أسئلة الحاضرين

وبعد اختتام البرنامج، وجّه بعض الحاضرين إلى رئيس الجلسة عددًا من الأسئلة والاستشكالات المتعلقة بمسائل الجنائز، رغبةً في إزالة ما أشكل عليهم، فأجاب فضيلته عنها إجابات شافية وكافية.

فجزى الله فضيلته خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله، ونفع به.

وفي ختام الجلسة، توجَّه مقدِّم الحفل سرفراز أحمد وصي الله (ح/ ٣) بالشكر الجزيل لفضيلة رئيس الجلسة والضيف الكريم على حضورهما المبارك، كما قدَّم شكره لجميع الحاضرين على مشاركتهم وحسن استماعهم، ثم أعلن ختام الجلسة.

(أحمد بن عباد الله خان)

احتفال الجامعة السلفية بنارس بذكرى يوم استقلال الهند الثمانين

أقامت الجامعة السلفية بنارس، يوم السبت ١٥ أغسطس ٢٠٢٦م، احتفالًا بهيجًا بمناسبة الذكرى الثمانين لاستقلال الهند، تجديدًا لمعاني الحرية، وإحياءً لذكريات الكفاح والتضحيات الوطنية.

واستُهل الحفل في تمام التاسعة صباحًا برفع العلم الوطني على يد سعادة الأمين العام للجامعة، الشيخ عبد الله سعود السلفي حفظه الله، في أجواء مفعمة بالمشاعر الوطنية والاعتزاز بالوطن ووحدته.

ثم عُقدالحفل في مسجد الجامعة، واستُهل بتلاوة عطرة من كتاب الله تعالى، تلاها الطالب/ حماد حشر الدين.

ثم قدّم الطالب/ أسامة خالد عبد المنان ورفقاؤه أنشودة الجامعة، أعقبها نشيد وطني أنشده الطالب/ محمد عارف حسين عين الدين الأنصاري ومجموعة من زملائه، بحماس واعتزاز.

وبعد ذلك ألقى الطالب/ عبد الرشيد عبد الرقيب كلمة بعنوان: «دور المسلمين في استقلال الهند»، بأسلوب بياني قوي، تناول فيها إسهامات المسلمين وتضحياتهم في سبيل استقلال البلاد.

ثم أنشد الطالب/ امتياز أحمد أبو بكر وزملاؤه أنشودة مؤثرة عن حب الوطن، لامست القلوب، وهي من كلمات الأستاذ نير أحمد الواحدي، أستاذ الجامعة السلفية، عبّر فيها عن مشاعره الصادقة تجاه الوطن.

بعد ذلك ألقى الطالب/ محمد عاصم عبد الصبور كلمة باللغة الإنجليزية بعنوان: «مسؤوليتنا تجاه وحدة الهند»، تناول فيها مسؤولية أبناء الوطن في المحافظة على وحدته وتماسكه.

وفي ختام الحفل، تفضل الأمين العام للجامعة، الشيخ عبد الله سعود السلفي حفظه الله، بإلقاء كلمة توجيهية، قدّم فيها للطلاب جملة من النصائح النافعة والإرشادات القيمة، ومن أبرز ما جاء فيها:

١. التحرر من عبودية فرعون: أشار إلى قصة تحرر بني إسرائيل من عبودية فرعون، وما فيها من دروس وعبر في سبيل الحرية والكرامة.

٢. غاية بعثة الأنبياء والرسل: بيّن أن من أهم مقاصد بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وتحريرهم من العبودية لغيره.

٣. تضحيات السلف في بناء الوطن: ذكّر بالتضحيات الجليلة التي قدّمها السلف من أجل بناء الوطن ونهضته.

٤. إسهامات المسلمين في بناء الهند: أشار إلى الإسهامات البارزة التي قدّمها المسلمون في بناء الهند وتقدّمها، ولا سيما جهود جماعة أهل الحديث وتضحياتهم في سبيل الوطن.

٥. الحث على قراءة التاريخ: حثّ الطلاب على قراءة تاريخ بلادهم وتاريخ أسلافهم، والتعرّف على جهودهم وتضحياتهم والاستفادة من دروس التاريخ وعبره.

٦. حسن استعمال تطبيقات التواصل الاجتماعي: نبّه إلى ضرورة استعمال وسائل التواصل الاجتماعي استعمالًا صحيحًا ونافعًا، والحذر من إساءة استخدامها أو الانشغال بها فيما لا ينفع.

٧. احترام الكبار والشفقة على الصغار: أوصى باحترام الكبار وتوقيرهم، والشفقة على الصغار ومعاملتهم بالرحمة والمودة.

٨. التحذير من إضاعة الوقت: حذّر الطلاب من إضاعة أوقاتهم فيما لا ينفع، وحثّهم على اغتنام أوقاتهم واستثمارها فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة.

وهكذا اختُتمت هذه الفعالية المشرقة في أجواء مفعمة بالإيمان والوطنية، وقد

امتلأت النفوس بالسرور والاعتزاز، وسط مشاعر صادقة تجاه الوطن، ودعوات خالصة إلى الله تعالى أن يحفظ بلادنا، ويديم عليها نعمة الأمن والإيمان والاستقرار.

(أحمد بن عباد الله خان)

إعلان عن موعد اختبارات نصف السنة الدراسية في الجامعة السلفية – بنارس

بتوجيه كريم من سعادة الأمين العام للجامعة السلفية، فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي حفظه الله، تُعلن الجامعة السلفية – بنارس عن بدء اختبارات نصف السنة الدراسية، والتي ستنطلق – بمشيئة الله تعالى – يوم الإثنين ٣ ربيع الأول ١٤٤٨هـ، الموافق ١٧ أغسطس ٢٠٢٦م، وتستمر حتى يوم الأحد ١٦ ربيع الأول ١٤٤٨هـ، الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠٢٦م.

واستعدادًا لهذه المرحلة، وحرصًا على توفير الوقت الكافي للمراجعة، تقرر تعليق الدراسة النظامية في جميع المراحل التعليمية اعتبارًا من نهاية دوام يوم الأحد ٢٥ صفر ١٤٤٨هـ، الموافق ٩ أغسطس ٢٠٢٦م.

وتدعو الجامعة جميع أبنائها الطلاب إلى اغتنام هذه الفترة في الاجتهاد والمثابرة، وتنظيم الوقت واستغلاله خير استغلال، سعيًا لتحقيق التفوق والتميز، كما تؤكد على أهمية الالتزام بالمواعيد والتعليمات التي صدرت بشأن جدول الاختبارات وسيرها.

نسأل الله تعالى أن يبارك في جهود أبنائنا الطلاب، ويوفقهم للنجاح والتفوق، وينفع بهم دينهم وأمتهم.

مع خالص الدعوات بالتوفيق والسداد.

(رئيس التحرير)

***

PRINTED BOOK

July & August 2026

ISSN 2394-5936
Vol. LVII No. 07-08

R.No. 47416/88- R.N.I. No. R.P.A./Regd No. VSI. 30/2015-2017

SAUTUL UMMAH

THE ISLAMIC CULTURAL & LITERARY MONTHLY MAGAZINE
Website: www.sautulummah.org

إعلان عن موعد اختبارات نصف السنة الدراسية في الجامعة السلفية – بنارس

بتوجيه كريم من سعادة الأمين العام للجامعة السلفية، فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي حفظه الله، تُعلن الجامعة السلفية – بنارس عن بدء اختبارات نصف السنة الدراسية، والتي ستنطلق – بمشيئة الله تعالى – يوم الإثنين ٣ ربيع الأول ١٤٤٨هـ، الموافق ١٧ أغسطس ٢٠٢٦م، وتستمر حتى يوم الأحد ١٦ ربيع الأول ١٤٤٨هـ، الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠٢٦م.

واستعدادًا لهذه المرحلة، وحرصًا على توفير الوقت الكافي للمراجعة، تقرر تعليق الدراسة النظامية في جميع المراحل التعليمية اعتبارًا من نهاية دوام يوم الأحد ٢٥ صفر ١٤٤٨هـ الموافق ٩ أغسطس ٢٠٢٦م.

وتدعو الجامعة جميع أبنائها الطلاب إلى اغتنام هذه الفترة في الاجتهاد والمثابرة، وتنظيم الوقت واستغلاله خير استغلال، سعيًا لتحقيق التفوق والتميز، كما تؤكد على أهمية الالتزام بالمواعيد والتعليمات التي صدرت بشأن جدول الاختبارات وسيرها.

نسأل الله تعالى أن يبارك في جهود أبنائنا الطلاب، ويوفقهم للنجاح والتفوق، وينفع بهم دينهم وأمتهم.

مع خالص الدعوات بالتوفيق والسداد.

Published by: Obaidullah Nasir, on behalf of Darut-Taleef Wat-Tarjama
B.18/1-G, Reori Talab, Varanasi, Edited by: Khursheed Alam Madani
Printed at Salafia Press, Varanasi.